

# الأعمال الدينية



الهيئة  
المصرية  
العامة  
للكتاب

خالد محمد خالد

بين يدي عمر

<http://www.makbtbn2211.com>

مهرجانات القرآن الكريم





## ■ خالد محمد خالد

- كاتب ومفكر إسلامي، حصل على الشهادة العالمية من الأزهر الشريف.

- ولد بأحدى قرى محافظة الشرقية عام ١٩٢٠ وتوفي عام ١٩٩٦.

- من أكثر الكتاب الذين أثروا الحياة الفكرية والإسلامية بمؤلفاتهم التي قاربت خمسين كتاباً منها: من هنا نبدأ، عام ١٩٥٠، مواطنون.. لا رعايا، رجال حول الرسول، الدين للشعب، لله والحرية ١٤ جزءاً، معاً على الطريق، خلفاء الرسول، أزمة الحرية في عالمنا وغيرها فضلاً عن كتاباته في الصحف و المجلات.

- ترقشت حول أعماله عديد من الرسائل الجامعية.

## مكتبة الأسرة



بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب  
بالتعاون مع مطابع دار المعارف



# **بین یدی عمر**

**خالد محمد خالد**



**مهرجان القراءة للجميع ٩٧**  
**مكتبة الأسرة**  
**برعاية السيدة سوزان مبارك**  
**(الأعمال الخاصة)**

**الجهات المشتركة:**  
**جمعية الرعاية المتكاملة المركزية**  
**وزارة الثقافة**  
**وزارة الإعلام**  
**وزارة التعليم**  
**وزارة الإدارة المحلية**  
**المجلس الأعلى للشباب والرياضة**  
**التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب**

**قال الراوى**  
**تأملات فى فن الرواية**  
**أحمد عبدالمعطى حجارى**

**الغلاف:**  
**الإشراف الفنى:**  
**للغنان محمود الهندى**

**المشرف العام**  
**د. سمير سرحان**





مقدمة

وهكذا تعنى مسيرة مكتبة الأسرة لتقديم في  
عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع  
الفكر والإبداع من عيون كتّاب الآداب والفنون  
والفكر في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى  
تطلّش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتلضم  
إلى مجموعة العناوين التي صدرت خلال  
الأعوام الثلاثة الماضية لتغطي مساحة عريضة  
من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر  
غنية بتراثها الأدبي والفكري والإبداعي والعلمي،  
وان مصر على مر التاريخ هي بلاد للحكمة  
والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية في المكان  
وعبقرية الإبداع في كل زمان.

سوزان مبارك



## على سبيل التقديم...

---

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر  
الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع  
ونور المعرفة مصدر القوة في عالم اليوم..  
صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا  
الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

---



## مراجع تاريخية

- السكامل : للعلامة ابن الأثير  
الطبقات الكبرى : ابن سعد  
أخبار عمر : للأستاذين  
على الطنطاوي  
ناجي الطنطاوي



أَيُّذُنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ..؟





## الفصل الثاني :

٤١ ..... ما تقولُ لربك غداً ؟

## الفصل الثالث :

٦١ ..... ألاَّتُكْ لهن أمير المؤمنين ؟

## الفصل الرابع :

١٠٧ ..... ولا خير فينا ، إذا لم نَسْمعها

## الفصل الخامس

١٢٩ ..... لَسْتُ بِالْحَبِّ ، ولا الحَبُّ يَخْدَعُنِي

## الفصل السادس :

١٤٩ ..... بَشِّرْ صاحبك بـغلام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

لست أكتب تاريخاً لعمر  
ولا أزيد الناس معرفة بعظمته وشأوه . .  
ولا أذكر على الله نفسى بالكتابة عن رجل أحبه الله واصطفاه . .  
إن المحاولة التى أنا بصددتها ، أكثر تواضعاً من هذا كله . .  
إلى أصغى إلى أمير المؤمنين ، لا أكثر . . وأنطلع إليه ، لا أقل . .  
وفى دروب التاريخ ستحاول - القراء وأنا - أن نلتقى بالرجل الذى  
لم تُعدنا المقادير باللقاء معه فى دروب المدينة . حيث كانت سجاياه  
وعظمته تملأ الزمان والمكان بما لا عين رأت ولا أذن سمعت من عدالة  
الحاكمين ، وزهد القادرين ، وإخبات الناسكين ، وقوة الودعاء الراحين ،  
وداعة الأقوياء المتقين . ! !  
أجل ؛ هذا ما نحاول فى هذه الصفحات بلوغه . . أن نعيش لحظات  
فى رِحابِ عمر ، ونأخذ من المشهد المكتوب عيوض ما فاتنا من المشهد الحى .  
ونلقى السمع والبصر والفؤاد بين يدي هذا القوى الأمين . والمعلم الذى ليس له

بين المعلمين نظير ، ونقضى في مَعِيَّتِهِ لحظات ترفع من قدر حياتنا .

• • •

و « مَعِيَّةُ » أمير المؤمنين ، ليست مثل « مَعِيَّات » غيره من الأمراء ،  
والحاكمين .

إنها شيء مختلف جداً . . . فلا مكان فيها لأطياب الطعام ، ومَنَاعم  
الشراب ، ومَنَاهج الحياة . . . لا مكان للعرش المرفوعة ، ولا للأكواب  
الموضوعة ، ولا للبارق المصفوفة ، ولا للورابي المشوثة .  
لا مكان للراحة . . . لا مكان للرُّهُو . . . لا مكان للرُّلَي . . .

من أجل هذا ، كان الاقتراب من هذه « المَعِيَّة » رهيباً ، بقدر ما هو  
حييب إلى النفس ، وبقدر ما يُفَضِّي إليه من شرف عظيم  
و « عمر » من الطراز الذي تغمرك وأنت تقرأ تاريخه المكتوب كل  
الهيئة التي تغمرك وأنت تجالس ذاته وشخصه .

والمشهد المسطور من تاريخه ، لا يكاد يختلف عن المشهد الحي إلا في  
عباب البطل عن حاسة البصر . . .

أَجَلٌ . . . عن حاسة البصر وحدها . . . أما الأفتدة . . . أما البصيرة ،  
فتحسن وهي تظالم سيرة عمر أنها تُعَاشِرُهُ ، وبجانبه ، وترى رَأْيَ العين  
جلال الأعمال ، ومَنَاسِكَ البطولات التي يتناولها بيد أستاذ عظيم ، جدّ  
عظيم . . .

• • •

ولكن على الرغم مما تفرسه صحة « عمر » من حرمان وشطَف . . .  
فليس على ظهر الأرض بهجة ، ولا بمتعة ، ولا نعمة تفوق مباحج ومَناعم  
هذه الصُّحَّة بحال . . . !



الرجل الكبير في بساطة ، البسيط في قوة ، القوي في عدل ورحمة  
لا يستريح ولا يترك الذين معه يستريحون ، ولكنه يمنحهم بدلا من الراحة  
المفقودة ، أعظم ما في الحياة من مؤدد ، وغبطة ، وتفوق  
هذا هو أمير المؤمنين ، الرجل الذي أنجبه البشرية ورباه الاسلام .  
هذا هو الحاكم المؤمن الذي إذا ذكر رؤساء الدول والحكومات منذ  
فجر التاريخ الإنساني إلى يوم الناس هذا ، كان أعظمهم ، وأبرهم ،  
وأزكاهم - من غير مبالغة - أية مبالغة . . . !  
هذا هو الناسك الذي تفجّر نسكه حركة ، وذكاء . . . وعملا . .  
وبناء .

هذا هو المعلم الذي صحح مفاهيم الحياة ، وأفرغ عليها نوراً من  
روحه ، وكساها عظمة من سلوكه ، وكان للمتقين إماماً . . . !

• • •

نرى ماذا يذكر التاريخ اليوم من نبته العظيم ، وبم يلهج الناس من  
سيرته الفاصلة ؟ ؟

هل يذكرون فتوحاته على كثرتها . . . ؟ ؟ هل يذكرون انتصاراته  
على روعتها . . ؟

إن سلوك أمير المؤمنين ، يشغل التاريخ ويشغل الناس عن كل  
شيء سواه .

• ودائماً ، وأندأ ، تُطلّ على الحياة صورة ذلك الإنسان الإلهي  
الذي يجرى في وقت الحر القاتل وراء بعير من أموال الأمة مخافة أن يند  
ويضيع ، فيحاسبه الله حساباً صيراً . . !

• أو الذي يصطحب زوجته في الخزيح الأخير من الليل حاملاً على



كفيه وفي يديه حراب دقيق ، وقربة الماء ، ووعاء السمن ، حيث تتولى زوجته أمر سيدة غريبة أدركها المخاض وحيث يجلس هو خارج الكوخ يُنضح لها طعام الوالدات . . !

• أو الذي يتأخر عن خطبة الجمعة ، ثم يجيء مهرولا في بردة بها إحدى وعشرون رقعة ، تحتها قميص لم يجف بعد من الليل ، ثم لا يكاد يصعد المنبر حتى يعتذر للناس عن تأخره فيقول : « حسننى عنكم قميصي هذا . كنت أنتظره حتى يجف ، إنه ليس لي قميص غيره . . . ! ! ! »

• أو الذي يستقبل هدية من الحلوى أرسلها إليه عامله على أذربيجان فيسأل الرسول الذي جاء بها : « أو كلُّ الناس هناك يأكلون هذا . . فيجيبه الرجل قائلا : كلا يا أمير المؤمنين ، إنها طعام الصقوة . . ! ! ! » فيختلج عمر ويقول للرجل : « أين بعيرك . . احمل هديتك وارجع بها إلى صاحبها وقل له : عمر يأمرك ألا تشع من طعام حتى يشبع منه قبلك جميع المسلمين . . ! ! ! »

• • •

هذا هو عمر في ذاكرة التاريخ ، وفي ضمير البشرية .

هذا هو مارة الله في الدنيا ، وهديته إلى الحياة .

وعلى مائدته الخالية من أطايب الطعام ، الحافلة بأطبايب العظمة ،

متفنى أسعد وأرغد لحظات حياتنا . . ! ! !

خالد محمد خالد





الفصل الأول

ليوسف عندهم خيرًا



كانت مكة تُودع ضيوفاً الذين وفدوا عليها من شتى بقاع الجزيرة  
ليشهدوا مهرجان « عكاظ » حيث تزهر القائل بشعرائها المتفوقين ،  
وحيث تزدان حلبة المصارعة بفنيان قريش الأشداء يعرضون ألعابهم في  
فن عظيم .

كانت مكة تُودع أولئك الأضياف الذين شدوا الرحال راجعين إلى  
بلادهم ، ومُجموعهم - عدا نفر قليل منهم استهواهم اللذات الحرام ، قهيبوا  
الطعن ، وآثروا المكث .

من هؤلاء النفر ، ذلك الشيخ الذي يقطع الطريق وقتاً ، مُيمماً  
وجهه شطر دار الندوة ليقضى بها ساعة الأصيل مع رفاقه في الشخوخة  
والذكريات . . .

وإنه لماضى في سبيله ، إذ لقيه في الطريق أعرابي قريب العهد بمكة  
يعمل راعياً لدى واحد من سادات قريش . . .

ولا يكاد الفتى يصير الشيخ أمامه حتى تتحدر الكلمات من بين

شفتيه في حَبَّةٍ وعَجَلَةٍ .

- هل علمت النبأ العظيم يا أبا العرب .

- أي نبأ يا بني ... ؟

- ذلك الرجل الأعسر البسر ..

ويشاهد الشيخ قائلاً :

- الذي كان يصارع في سوق عكاظ ... ؟

- أجل ... هو ..

- ما باله يا قتي ... ؟

- لقد أسلم ، واتبع محمداً ..

ويُفِيق الشيخ من الدهشة ، ويقول وقد كست وجهه حكمة

السنين :

- « أما والحق ، لَيُوسِعُهُمْ خيراً .. أو لَيُوسِعُهُمْ شراً .. ! ! »

• • •

أما الأعسر البسر الذي كان يُصارع في سوق عكاظ ، فهو عمر ..

وأما نبوءة العربي ، فقد جاءت كملق الصبح ، وضوء النهار .

ومن ذلك اليوم ، لم يعد الأعسر البسر .. « عمر بن الخطاب بن

نمير بن عبد العزى » ، من بني عَدِيٍّ .. لم يعد ذلك الذي يُصارع

الأشداء في سوق عكاظ ، بل صار « الفاروق عمر » ، الذي سيصارع

الباطل في جزيرة العرب ، أولَ النهار .. وفي كل الدنيا ، آخره ..

سيكون الرجل الذي يملأ أرض الناس عدلاً ، وأمثاً ، ورحمة ،

وهُدًى ..

سيكون « المعلم » الذي يبلغ الرشد الإنساني على يديه رُشدَه ..



و « الأستاذ » الذي يجلس الدنيا عند قلعيه . . !  
 أحل . سيكون الإنسان الذي يرفع الله به من قَلْبِ البشر ، وقدر  
 الحياة .

• • •

« ليوسفهم خيراً ، أو ليوسفهم شراً » . . !  
 كيف أدرك الشيخ العربي ، مصائر الأمور على هذا النحو السريع  
 القَطِين . . ؟

الحق أن الذي قُدر له أن يرى « عمر » في شبابه ولو رؤية عابرة ،  
 قادر على أن يردد نفس البهوة ، ويستشرف العبد الذي استشرفه الشيخ  
 في غير عَنَاء .

« فممر » ، ذلك الرجل القوي ، المجدول اللحم ، المشرب بالحمرة ،  
 العليظ القدمين والكفين ، المريض المنكين ، الفارِهُ الشامخ العملاق ،  
 الذي لم يَبر قط مع قوم إلا كان أعلام رأساً من قَرط طوله .  
 الرجل الذي كان كما نَعْتُوهُ : « إذا تكلم أسمع وإذا سَمَى أسرع ،  
 وإذا ضرب أوجع » .

« عمر » الذي لم يَخَف قط في حياته أحداً ، ولم يختلج جثائه الصامد  
 أمام رهبة أو فرع .

« عمر » الذي ورث من طباع أبيه ، صرامة لا تعرف الوهن ، وحشياً  
 لا يُورجحه التردد ، وتَصميماً لا يقبل أنصاف الحلول .

« عمر » هذا . . من اليسير جداً استكشاف حقيقته ، وقراءة دُخيلته  
 والتنبؤ بمصائر الأمور بين يديه ، فإما أقصى اليمين ، وإما أقصى اليسار .  
 إنه أبعد الناس عن ازدواج الشخصية ، وتعددتها .

ومركز الثقل فيه ، لا تتساوونه أشتاتُ نفس مُورَّعة ، ولا تميل به أهواء متنافرة ، إنما تحتشد به شخصية متسقة حافظة .

فحيث يوجد « عمر » توجد كل شخصيته ، وكل إرادته ، وكل مهجه .

لا ينقسم على ذاته أبداً . . ولا يضع إحدى قدميه هنا - وثانية القدمين هناك . .

إنه رجلٌ « جميع » تتحرك كل قدراته في دقة واتساق . . يعوقان دقة الجيش المدرب واتساقه . وليس لدرة واحدة في كيانه فرصة للتحلف . . أو للتلكؤ ، أو للشاز . . !

إنها طبيعة فذة قلما تتكرر ، وقلما يكون لها في الأعداد الهائلة من البشر نظير .

ولقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يدرك عظمة الطبيعة الشريفة التي رزقها « عمر » . . وكان يعرف ما تنطوي عليه من أصالة واقتدار . . كما كان يعرف ما يتمتع به « عمرو بن هشام » من جاه ونفوذ من أجل هذا دعا ربه الكبير أن يبصر الإسلام بأحب الرجلين إليه - « عمر بن الخطاب » ، أو « عمرو بن هشام » . .

ولقد ربح الإسلام أحب الرجلين إلى الله ، وكان « عمر بن الخطاب » صاحب المعطرة القوية السوية الجباشة . . . التي ثقله كله في كفة التوحيد ، على حين ألقى الآخر ثقله في كفة الشرك . ولكن مصير الميراث تقرر في نفس اللحظة التي أصبح فيها « عمر » قوة في إحدى كفتيه ، واستبان غد الإسلام كضوء الفجر منذ قال « ابن الخطاب » : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » . . !





يقول عبد الله بن مسعود : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ، كان إسلامه فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمة ، ولقد رأينا ما نستطيع أن نصلي باليت حتى أسلم عمر » . . . ! !

• •

هذا العنوان الوثيق في شخصية « عمر » . كان يبدو كما لو كان تطرفاً ، وترمناً، وغلظة . .

في الجاهلية ، كانت مُحادثته للإسلام ، تكاد وحدها تعدل أدى قريش . . وكان تشبه بموقفه يُلحظ أي أمل في عُدوله عنه ، حتى لقد صور أحد المسلمين يومئذ يأسه من إسلام « عمر » بقوله : « إنه لن يسلم حتى يُسلم حمار الخطاب » . . . ! !

وفي الإسلام ، صارت مُحادثته للوثنية تكاد تعدل وحدها مقاومة الإسلام بأسره ، وصارت صرامته المعادلة العاقلة مضرب الأمثال ، حتى لقد كان الوحيد بين الصحابة الذي يُكَلَّم من مناقشة رسول الله ، والذي يقترح أحياناً على الرسول ، فيُضفي رسول الله ما اقترح ، ويسن ما ارتأى . وكان شديد الوطأة على خصوم الإسلام بصورة تفرد بها عن سواه .

يُبد أن ذلك لم يكن من « عمر » تطرفاً ، ولا ترمناً ، ولا قسوة . إنما كان تعوقاً .

ذلك أن الطبيعة التي كانت تحتشد مواهبها وفنراتها على هذا السق المد الذي توفر « لعمر » ، لا يكون لصاحبها الخيار إلا في مستوى هذا التفوق المهيمن العميم .

وهكذا كان « عمر » . .

رجل مُرَوِّد بطبيعة مشحودة قوية ممتلئة . طيبة مستقيمة القصد ،

وقَرع الباب قرعاً رهيباً .

وقيل : من ؟ قال : عمر . .

أما خباب ، فسارع إلى محاً قصي في الدار ، سائلاً الله حفظه

وغوثه . . ! !

شديدة الأثر ، سواء في صلاحها وهداها . .

وهي إذا انحلت موقفاً ، تلغ فيه المدى . لا استجابة لزرعة العلو ، بل تحقيقاً لإمكاناتها الحافلة ، وتعبيراً تلقائياً عن تفوقها وامتلائها . .

إن ثمة فارقاً كبيراً بين التفوق والتطرف . .

الأول ، يشبه النمو الطبيعي .

والثاني ، يشبه مرض نمو العظام .

الأول ثمرة خلايا حية عاملة ، وطبيعة سوية نامية ، والثاني عرض من أعراض العلة والسقم . .

والتفوق ، قوة عادلة تضمن الحكمة ، ولا تستعل على الخير ، أو تتواري من الحق . .

وهكذا كان الذي مع « عمر » التفوق ، لا التطرف . . والقوة ، لا القسوة . .

وإن الظروف التي أزجت إسلامه وأحاطت به لتكشف جوهر طبيعته ، وتوضح هذا أوضح بيان . .

• • •

دات يوم لأهيب ، خرج من داره حاملاً إصراره الخرور ، وسيفه الجسور ، موكباً وجهه شطر « دار الأرقم » حيث كان الرسول ونفر من أصحابه المؤمنين يذكرون الله هناك ، ويعبدونه .

وفي الطريق يلقاه « نعيم بن عبد الله » فيرى ملامحه تنفجر بأساً ونقمة ، فيقترب منه في وحل ويسأله .

- إلى أين يا « عمر » . . ؟



فيحييه . « إلى هذا الصابي الذي فَرَّقَ أمر قريش وسفَّه أعلامها ،  
وعاب دينها ، وسب آلهتها فأقتله » . . .

ويذهل ، نعم ، عن إحساسه بالموقف ، وبالخطر الذي يجم عن  
معارضته لعمر ، فيقول له :

- « لبس السعي سعيك ، ولبس الممثنى ممثاك » . . . !

ويغشى « عمر » أن يكون « نعم » قد أسلم ، فيقول له

« لعلك صُنَّات . . . إن تكن فعلت هواللآت والعُرَى لأبدانك » ،

و « نعم » يعرف تماماً أن « ابن الخطاب » يعني ما يقول ، فيُسي

الحوار بعبارة تُلَوَّى زمام « عمر » ، إذ لا يكاد يحتمل وقوعها الشديد :

- « ألا فاعلم يا عمر أن أحتك وزوجها - سعيد بن زيد - قد

أسلما ، وتركا دينك الذي أنت عليه » . . .

- أخته . . . ؟ ؟ فاطمة بنت الخطاب . ؟ ؟

ماله ولد دار الأرقم إدى ، وقد اقتحم الحظر داره هو وعريه ؟

وهكذا ، أغدَّ السير إلى دار ختيه « سعيد » . . .

• • •

في جوف الدار كان « سعيد بن زيد » ، وزوجته « فاطمة بنت

الخطاب » و « حناب بن الأرت » ، وملء أيديهم صحيفة فيها من وحى الله

آيات يتلوها ويتدارسونها .

وقرع الباب قرعاً رهيباً . . .

وقيل : من ؟ قال : عمر . . .

أما حناب ، فصارع إلى مخاض قصي في الدار ، سائلاً الله حفظه

وغوثه . ! !

وأما أخت «عمر» وزوجها ، فقد استقلاهما كذى الباب يفشاهما  
دهول المفاجأة ، ولم تنس شت الخطاب في هذه الغمرة الداهية ، الصحيفة  
الكريمة التي بها آى الله فخبائنها تحت ثيابها .

قال «عمر» والهول يتقذف من عينيه ما هذه الهيعة التي سمعتُ

عندكم ؟ . .

اجابا : لا شيء ، إنها تجوى وأحاديث . .

قال لهما : سمعت أنكما صبياتاً . . .

قال سعيد : «أرايت يا عمر إن كان الحق في غير دينك ؟ ؟

ولم يمهله «عمر» حتى يتم حديثه ، هوثب عليه في عنقوان لُجب ،  
وأخذ برأسه يجره ويلويه ، ثم ألقاه أرضاً ، وجلس فوق صدره . . وحين  
تقدمت أخته لتدافع عن بَعلها أصابتها منه لكمة أذمت وجهها فصاحت به  
وكأنها بوق سمارى يَدوى ويصلصل :

- : «يا عدو الله ، أتضربنى على إيمانى بالله الأحد ؟ ألا ما كنت فاعلاً

قاصلاً ، فإنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . . !

والآن ، انتبهوا جيداً ، فإن اللحظة الحاسمة تدق ، مؤدبة بالتحول  
وكاشفة عن الجوهر النقى القوى الذى صُغت منه فطرة هذا الرجل الكبير .  
فبينما هو في بَأْسِه الشديد داك ، يجابه الحق على الصبحة ، فيلبس له  
«عمر» ويتخشم . .

ذلك أن الكلمات المندلعة من إصرار أخته كانت تحمل كل ريب

الصدق .

هذا الرين الذى يعرفه ويميزه من له فطرة كمنطرة «عمر» ، تماماً

مثلما يدرك الفارس الأصيل المجرب ، أصالة الخيل من صيلها . . ! !



ولو كانت قوة « عمر » قوة عناد وقساوة ، لتأدت في ضراوتها وبلغت من الموقف ما تريد .

أما وهي قوة تفوق وعلو ، فقد استحابت من فورها لهذا الحلال المتدي أمامها ، لهذا الرأس العزيز المرتفع ، رأس « فاطمة بنت الخطاب » المؤمنة بالله وبرسوله . . وهذه الكلمات المتوهجة بنور الحق الصادحة ببريق الصدق . وهجاء يهص من فوق صدر « سعيد » ويسط يده الصارعة إلى أخته ، سائلا إياها أن تعطيه الصحيفة التي رآها تبرر من تحت ثيابها : - هات هذه الصحيفة ، لأنظر ما فيها .

وتجيبه أخته : « كلا ، إنه لا يمسه إلا المطهرون ، اذهب فاغتسل ونظهر »

ويعضى « عمر » كالأنفاس الوديمة المادئة ، هذا الذي كان من لحظات إعصاراً يدمدم ويعود ولحيته تغطر ماء ، وتعطيه أخته الصحيفة ، ويقرأ

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
« طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشني ، إلا تذكرة لمن يخشى . تزيلاً  
ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى . له ما في السموات وما في الأرض ، وما بينهما وما تحت الثرى . وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى . الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى »  
ثم يتابع التلاوة في خشوع وتسل .

« إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ، وإن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى ، فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتسع هواه فتردى . . »





ويعاتق عمر الصحيفة ثم يقبلها . ويهض واقفاً ويقول :  
 « لا ينحى لمن هذه آياته ، أن يكون له شريك يُعبد معه ، دُلُونِي عَلَى  
 مُحَمَّدٍ » !

وهنا يبرع « خُتَابُ بْنُ الْأَرْتِ » من محبته ، ويهرول صوب عمر  
 صائحاً : « أُنْشِرْ يَا عُمَرُ ، هُوَ اللَّهُ لَقَدْ اسْتَجِيبَ دَعَاءُ الرَّسُولِ لَكَ » .  
 ويتحد عمر سبيله إلى الصفا حيث دار الأرقم ، وهناك بين يدي  
 رسول الله عليه الصلاة والسلام يدخل في الدين الحق ، ويكبر المسلمون  
 تكبيرة تهتر لها مكة جميعاً . . . !

• • •

في مثل نوح البصر ، ثم هذا التحول الطائل العظيم ، وانتقل إلى أقصى  
 رحاب الهدى . رجل كان يقف في أقصى مجاهل الوثنية .  
 والطبيعة لقوية التي كانت تحتشد لتحرم آفة قريش من رحمة الدين  
 الجديد . وثبت الآن وثبة في الصباء إلى الخاب الآخر من أرض المعركة  
 بكل ناسها وبكل قوتها ، إبان لحظة حاسمة أحاد توقيتها وأحس إعدادها  
 قلتر حكيهم عليم . !

لقد كان « عمر » ينود عن مقدمات الجاهلية ، يوم كان يؤمن  
 أنها حق .

وهو الآن وقد أسلم وجهه لله ، سبصع كل حياته وفوته في خدمة دين ،  
 آمن أنه الحق .

ذلك أنه رجل يسير وفق إيمانه واقتناعه ، لا وفق هواه .  
 بيد أن إيمانه الأول وإيمانه الأخير لا يتويان .



فإيمانه القديم ، إيمان لا يرهان له - برهانه التقليد الذي يحجب  
 عن العقل ضوء الحقيقة ، ويحرم القلب من بهجة الصدق  
 أما إيمانه الجديد فمعه يرهان . أى يرهان . . ! !  
 • إن الله الذي بعده اليوم ليس من حجر ولا من مندر . إنما هو  
 نور السماوات والأرض ، على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم  
 • والداعى إلى الدين الجديد ، ليس واحداً من طرار أولئك الكهنة  
 الذين يرتفون بالأصنام ، ويستمدون سلطانهم من جهالة الناس وترويع  
 الأساطير . إنما هو « محمد » الذى لم يكن صدقه ولم تكن أمانته  
 موضع ريبة أو شبهة طوال الأربعين عاماً التى قصاها بين قومه عابداً ،  
 قانتاً ، طاهراً ، باهراً .  
 • وزملائه الجدد ، إخوانه فى هذا الدين ، ليسوا على شاكلة الآخرين  
 الذين لا همّ لهم سوى اللهو واللعب ، والميسر والضياع .  
 إنما هم رعيّة عظيم وضع وزره ، ونصاً عن نفسه عرور الحياة الدنيا ،  
 وتنبأ لرسالة كبرى وجهاد عظيم .  
 أحل . . . إن الناس الدين هنا . مع محمد رسول الله ، قد وجدوا  
 غرضاً عظيماً يحيون من أجله . . . أما الآخرون الذين حلّهم « عمر »  
 وراء ظهره فيتكهأون على موائد الميسر يزادون بها سماعه ، أو يتحلقون  
 حول الأروام يستفتونها فى حقولهم العائرة . . . أو يطوفون حول أصنام  
 من حجارة نحتوها بأيديهم ثم غرّوا لها سجّداً .  
 هنا إيمان حق ، معه من الله يرهان .  
 هنا إيمان يرفع الرأس عالية . ويصل الإنسان بالله دين ما حاجة إلى  
 وسبط أو شفيع .

وطبيعة كطبيعة « عمر » ، ترفض التبعية ، وتستعمل على الإدعان  
والرصوخ ، ليس لها مجال حيوى ولا مُناخ طيعى إلا فى دين كهذا الدين  
حيث يقف الناس سواسية كأمتان المشط ، وحيث أكرمهم عند الله  
أنقام ، وحيث يعبقُ الطهر ويتضوع الحق ، وحيث يتلو « محمد » آيات ربه  
فتسدى من خلالها معالم الحياة الوافدة ، والمصابير الواعدة وتسمع الألباب  
فيها حلصلة الحقيقة ، وتجد الأئمة معها يرد اليقين . . ! !

• • •

إن القوة نفسها والأصالة نفسها ، تعملان فى الطبيعة الفريدة « لعمر »  
بعد أن صار الإسلام له ديناً ولكن هذه الطبيعة بعد الإسلام تتعوق  
تفوقاً بعيداً عنها قبل الإسلام . ذلك أنها وجدت نفسها ، وهداها ، ولم يعد  
مجالها تلك الأصنام الهامدة حول الكعبة ، أو تلك الشئون الصحلة لحياة  
مكة ، بل تعلق هذه الطبيعة بالسماء وبالأرض جميعاً ، وصار موضوع  
نضالها ديناً يدرك بفطنته المشرقة أنه لن يقتصر على أرض الرمال ، والإبل ،  
والشعر ، بل سيزحف مشرقاً وغرباً حتى يغمر العالمين . . ! !  
من أجل هذا يبدأ الفلق الدكى فى الطبيعة العمرية من أولى لحظات  
إسلامه . فيقول لرسول الله عليه السلام :

« أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ فِي مِمَاتِنَا وَمَحْيَانَا . . ؟ » .

ويحييه الرسول : « بلى يا عمر . والذي نفسى بيده إنكم لعلّى الحق  
إن ممت وإن حيتم » .

يقول « عمر » : « ضميم الاختصاص إذن . . ؟ » والذي بعثك بالحق  
لتخرجن ، ولنخرجن معك » .



ويخرج الرسول والمسلمون معه في صَعَيْن . « عمر » في صف ،  
و « حمزة » في الصف الآخر

وهذه الخطوات التي استحبها « ابن الخطاب » ، بدأ الرحف الطويل  
المبارك الذي استمر ألفاً وأربعمائة عام . ولا يزال . . !  
إن الرجل الذي جاء منتصباً سيفه ليقتل رسول الله ، قد تحوّل في لحظات  
سعيدة إلى مؤمن بالله وبرسوله . فماذا عساه يفعل الآن ؟

ما الامتداد الذي ستواصل طبيعته المسير فيه .  
وما ردُّ الفعل الذي سيكيف وجهتها الحديدية ؟  
إن خواطره السريعة تُهلّ . وكأنها تتحرك وفق « حارطة » مفصلة  
قد وُضعت سلفاً . .

ولسوف يُتابع عمر « المسلم » أداءً للمهمة التي بدأها عمر « الوثني »  
ولكن في مستوى أعلى ، وغاية أرفع .  
أجل ، لقد خرج من داره مُتصباً سيفه قاصداً دار الأرقم ليصرع  
الباطل .

حسن . فليعض لعابته ، وليواصل مهمته . . غير أنه الآن لن يصرع  
الحق الذي كان يتوهمه باطلاً . . بل سيصرع الباطل الذي طالما توهمه  
حقاً . . !

سيصرع الباطل الذي هو باطل ، والذي اتخذ « عمر » عن زَيْفِهِ  
وحقيقته فترة من الزمان .

وبه الآن ، وقد كُشِفَ عنه غطاؤه ، ليدوى بصوته الحسور :

- « والله ، لن أترك مكاناً جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه

بالإيمان . . !

وإن مع طبيعته من الله والمقدرة ما يجعلها مُهيأة للعمل دوماً ،  
واضعة عينها على الهدف أبداً .

وهو لهذا وبهذا ، رجل لا يعرف أنصاف الحلول ، ولا ينام على الصميم  
لحظة من نهار أو مساء . . . والضم عند أشمل وأعم من أن يكون رَهَقاً  
يتزل به ، أو خسفاً يُسَامُه . . . والضم أيضاً أن يعجز عن تحقيق ذاته ،  
وإنجاز مشيئته ، وبلوغ الأمر الذي يريد

. وهكذا رأى من الضم أن يترك معالم جاهليته تعيش ولو خافية كابية ،  
ومن ثم فإن آثار قدميه في طرقات مكة حيث كان يذرعها مندداً بالإسلام ،  
ومتعباً ذويه ، لا بد أن تذوب وتتلاشى في خطواته الحديدية الثابتة التي  
سيدرع بها الطرقات نفسها مُسبحاً بحمد الله ومقدساً له .

وكل مكان رفع فيه عقبرته لاهجاً بأصنام قريش . لا بد أن يجلجل فيه  
: « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » . . . ! !

أجل ، سيتعقب « عمر » كل حركاته ، وكل كلماته ، وكل خلجاته  
التي ظلت تحمل سحرته بدين الله مدى ستة أعوام ، منذ بدء الرسالة حتى  
يوم إسلامه . . .

سيتعقبها في كل مطابها ومواطنها ، ويبصع مكان كل سبلة حسنة .  
سيقتلع جميع الأشواك التي ملأ بها طريق « محمد » وصحة ،  
وسيفرس مكانها أزاهير . . . سيزرعها حباً ، وتقياً ، ويشترى أمن هذا الدين  
بحياته ، بجميع حياته . . . ! !

إن طبيعته تنادى الزمان والمكان ، بل تُلعيهما إلغاء لتظل لها سيادتها  
وتفوقها . فإذا أخطأ عمر في زمان ما ، في مكان ما . ثم أراد أن يصحح  
خطأه ، فليس يكنى فطرته العذبة النادرة أن تتجنب الخطأ . بل هي تريد





اقتلاعه تماماً ، واقتلاع الزمان والمكان اللذين كانا للخطأ وعماء .  
 ومن ثم فهي تأتي إلا أن تعود للمكان نفسه ، ولو استطاعت لاستردت  
 الزمان نفسه لتقول إن ذلك الخطأ لم يكن . ولا كان المكان الذي شهد ،  
 ولا الزمان الذي احتواه . . . ! ! !

من أجل هذا مضى إلى كل مكان جلس فيه بالكفر ، فجلس فيه  
 بالإيمان - أكان ذلك كافياً . . ؟

لا ، فهناك عمل كثير وقدير ، سيواصله عمر حتى يحس أنه قد  
 طهر نفسه من كل آثام جاهليته .

فهو يذكر أن نمسكه السالف بدين قريش ، كان من أهم أسباب  
 الاصطهاد الذي لقيه الرسول وصحبه . . واليوم وقد آمن ، فلا بد أن يكون  
 إسلامه عاملاً حاسماً في شدّة زناد المقاومة الإسلامية .

أجل بالأمس كانت وثنيته من الأسباب التي حملت المسلمين وهم  
 قلة ، على الفرار بدينهم إلى « دار الأرقم » حيث يعبدون الله خفية  
 واليوم ، لا بد أن يكون إسلامه عاملاً حاسماً في الجهر بالدعوة وبشدّة  
 التحقّق والمداورة

وإنه ليذهب إلى رسول الله فيقول :

- « بآبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما يحبسك ، هو الله ما تركت  
 مجلساً كنت أحلس فيه بالكفر ، إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا  
 خائف - ألا إنا لن نعبد الله سرّاً بعد اليوم » .

ويستحيب الرسول لأبيه ، وتخرج الدعوة من مكّنها إلى أرض الله  
 الواسعة .

أهل يكتفي عمر بذلك .

كلا ، فلا يزال ثمة خطوة تبهر الألباب حقاً .

لقد تذكر « عمر » أنه بالأمس كان كفار قريش يأخذهم الزهو لأن « عمر » يضرب يده أصحاب « محمد » . . فليمنح المسلمين اليوم زهواً مثله . . وهو إذا كان لن يستطيع الآن أن يعطو بقضته رموس صناديد قريش وظهورهم ، فليرفع من شأن العذاب الذي يلقاه ضعاف المسلمين بأن يشاركهم فيه ، وليأخذهم الزهو ، بأن « عمر » الجور العملاق المهيب يضرب مثلما يضربون ، ويضطهد كما يضطهدون . . . ! ! !

نعم . . لن يظل اضطهاد قريش وفقاً على « بلال » ، و « خباب » ، و « عمار » ، و « صيب » ، وإخوانهم من الفقراء والمستضعفين ، بل لابد أن يصلاه معهم قى الفتيا هذا ، الذي تسبقه هيئته ، والذي تنخلع أمام سطوته الأفتدة والقلوب .

لابد أن يضرب « عمر » كما يضربون ، وبهذا لا يصير ضربهم وتعذيبهم ذلة تكسر نفوسهم ، وتندغدغ كرامتهم ، وبهذا أيضاً يتم « لعمر » إسلامه ، إذ تم له المساواة مع المسلمين في دفع الثمن الذي يشترط به راية الله . . . ! ! !

هكذا ففكر « ابن الخطاب » . . هكذا فكر صاحب الطبيعة القوية والفطرة السوية .

ولكن أتى له هذا ، وهو المرهوب الجناح إلى الحد الذي يجعل مجرد التفكير في مُشَانَاتِهِ عظامرة خاسرة . . ؟

إذا أراد « عمر » أن يكون الظافر المنتصر ، فلن يُعييه الليل ، أما أن يكون المضروب المنهزم ، فهذه هي المشكلة الكبرى التي يحتاج العظمر بحلها إلى جهد كبير .

هذا السلوك الباهر الذي يتبدى من « عمر » ، إنما ينبثق من طبيعة استوفت كل عناصر الكمال ، والسؤدد . طبيعة لا يَزَحَمُ إخلاصها للمستولية شيء مآ ، ولا يشغلها عن عقل جوهرها شاغل . .

والرجل الذي وقف موقفه هذا أول إسلامه ، هو الذي سلتني به فيما بعد . أميراً للمؤمنين ، وجيوشه تملُّ سلطان كسرى وقبصر فيصعد المنبر بعد أن دعا المسلمين للاجتماع ، ثم يقول :

- « أيها الناس : لقد رأيْتُني وأنا أرمي غم خالاتي من بني مخزوم نظير قلعة من حجر أو من زبيب . . .  
ثم ينزل من على المنبر بين دَعَشِ المجتمعين وتساوَلهم . .  
ويتقدم منه رجل لم يُطلق على ما رأى صبراً ، وهو « عبد الرحمن ابن عوف » ويقول له : ما أردتَ إلى هذا يا أمير المؤمنين ؟ ؟  
فيجيبه « عمر » :

- « ويحك يا ابن عوف ، خلوت بنفسى فقالت لي : أنت أمير المؤمنين ، وليس بينك وبين الله أحد ، فمن ذا أفصل منك . . فأردت أن أعرفها قدرها . .

هذه طبيعة مستقيمة ، ليس بداخلها حِوَج ، ولا نصير لحظة على ما يحول بينها وبين رؤية الحق واتباعه .

ولقد جعلت هذه المعطرة القويمة صاحبها رجل صدق عظيماً ، لا يفي على ما يعمل جزاء أو شكوراً . . إنما يعبر عن طبيعته المثلثة التي وضعها في خلقة الله ، ونذرنا لدينه . .  
وكلما ملأت الرّحْب بشاغلها الغد ، وقدرتها الهاطلة . .

هذا السلوك الباهر الذي يتبدى من « عمر » ، إنما ينبثق من طبيعة استوفت كل عناصر الكمال ، والسؤدد . طبيعة لا يرحم إخلاصها للمسئولية شيء مآ ، ولا يشغلها عن صقل جوهرها شاغل . .

والرجل الذي وقف موقفه هذا أول إسلامه ، هو الذي سالتني به فيما بعد أميراً للمؤمنين ، وجيوشه تمل سلطان كسرى ويصر فيصعد المنبر بعد أن دعا المسلمين للاجتماع ، ثم يقول :

- « أيها الناس : لقد رأيتني وأنا أرمي غم خالات لي من بنى مخزوم نظير قبضة من تمر أو من زبيب . . .  
ثم يتزل من على المنبر بين دَهَشِ المجتمعين وتساؤلهم . .  
ويتقدم منه رجل لم يُطلق على ما رأى صبراً ، وهو « عبد الرحمن ابن عوف » ويقول له : ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين ؟ ؟  
فيجيبه « عمر » :

- « ويحك يا ابن عوف ، خلوت بنفسى فقالت لي : أنت أمير المؤمنين ، وليس بينك وبين الله أحد ، فمن ذا أفضل منك . . ؟ فأردت أن أعرفها قدرها .

هذه طبيعة مستقيمة ، ليس بداحلها عِوَج ، ولا تصبر لحظة على ما يحول بينها وبين رؤية الحق واتباعه .

ولقد جعلت هذه الفطرة القويمة صاحبها رجل صدق عظماً ، لا ينفى على ما يعمل جراً أو شكوراً . . إنما يعبر عن طبيعته المثلثة التي وضعها في خدمة الله ، ويذرّها لدينه . .

وكلما ملأت الرّحْبَ بنشاطها العذ ، وقدرتها الحاطلة .



وكلما أحرحت من حبسها وراثتها النفسى الذى لا ينفد .  
وكلما نسجت لله راية . وهدمت للشرك قلعة ، وأدّت لإنسان حقاً .  
كلما فعلت هذا ، كان عمر سعيداً جداً سعيداً ! ! !



## الفصل الثانی

مَا تَقُولُ لِرَبِّكَ غَدًا؟





لا شيء يَمُرُّ الطوائع المنفوقة السوية ، مثل تأيها عن المرور  
ولو كان ثمة رجل ، لا بد للمرور أن يتور حصونه المنبعة لمرط  
مزاياه وروعة أجهاده وانتصاراته ، لكان « عمر » . .  
فهو يدحل الإسلام في حفاوة نالقة من الرسول وصحبه .  
وهو يرى كيف صار الإسلام ديناً جَهْوَري الصوت ، صادق الكلمة ،  
في اليوم نفسه الذي اعتنقه فيه .  
ويصر المسلمين الذين كانوا من قُل يستحقون من طغاة مكة ،  
يواحيون اليوم الأذى في شُموخ ، ويرحون مكة بتكبيرهم بعد أن صار  
« لعمر » بينهم مكان .  
ويرى رسول الله ينعت بالفارق ، بعد أن فرق الله بإسلامه بين الحق  
والباطل ، وبين الملاينة والمواجهة .  
ويرى نفسه يقترح على رسول الله بعض آرائه ، فلا يوافق الرسول  
فحسب ، بل يتزل به الوحي ، ويصير قرآناً يُتلى





وفيا بعد . يُضحى خليفة لرسول الله بعد أبي بكر ، وأميراً للمؤمنين ،  
تفتح في أيامه « بوابات » العالم لدين الله ، وترحم راياته جو السماء في  
كل أفق .

كل هذا ، ألا يجد الغرور من خلاله ثغرة بنعذ منها ، إن لم يجد أكثر  
من الثغرات ؟ ؟ . . !

ومع ذلك ، فلا نكاد نعرف نفساً امتعت على الغرور وتكسرت أمام  
حصونها الميعة كل محاولات ، مثل نفس هذا الرجل الفرد ، « عمر » . ا  
فمن أين له هذا . . ؟

لا ريب أن لطبيعته واستعداداته المعطى الأثر الكبير الناجع .

ولا ريب أيضاً في أن الطريقة التي اتصلت بها هذه الطبيعة بالله  
قد أقامت عليها مَدداً لا يقنى ومقدرة لا تتلجلج . وعزواً كاملاً عن كل ما في  
الحياة الدنيا من غرور وزهو .

إن « عمر » نفسه يردُّ إلى الله ، وإلى الدين الذي اتبع نهجه كل  
ما معه من فضائل ، وهُتَّى ، واقتدار . .

ولطالما كان يقول لإخوانه : « لقد كنا ، ولنا شيئاً مذكوراً حتى  
أعربا الله بالإسلام ، فإذا ذهبنا نلتبس العز في غيره ذللنا » . .  
فلسطر كيف كانت علاقة « عمر » بربه . .

لننظر كيف التفت طبيعة قوية بنسك قوي ، لُسجبا الرجل القوى  
الأمين .

ولسوف يجد كل تصرفات « عمر » تسير وفق إجلال الله فريد  
أحل ، إن « عمر » لبخشى ربه خشية ، وبوقره توقيراً ، حتى إنه

ليكاد يذوب ويتحلل كلما هومت حوله من بعيد ومضة من ومضات ربه  
ذی الجلال والإكرام .

وكان لا يفتأ يردد لنفسه هذا اللحن المهيّب : « ما تقول لربك  
غداً » ؟ .

سم . . « ما تقول لربك غداً » ؟ . .  
عمارة قد تلوها نحن في دعة وبسر ، أما هو فكانت تزلزله ولرالا  
شديداً . . . ! !

يقول الأحنف بن قيس :

- « كنت مع عمر بن الخطاب فلقبه رجل فقال : يا أمير المؤمنين  
اطلقني معي فأعيتني على فلان فقد ظلمني . . فرجع عمر دزته وحقق بها  
رأس الرجل وقال له : تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم ، مقبل عليكم ،  
حتى إذا شغل بأمر من أمور المسلمين أتيتوه : أعيتني . . أعيتني .  
« فأنصرف الرجل غضبان أسفاً ، فقال عمر : على بالرجل .  
« فلما عاد ، ناوله بحفقتة وقال له : خذ واقتصر لنفسك مني .  
« قال الرجل لا والله ، ولكنني أدعها لله . . وأنصرف ، وعدت مع  
عمر إلى بيته ففصلى ركعتين ثم جلس يحاسب نفسه ويقول :

- ابن الخطاب . ؟ كنت وصيماً فرغمت الله ، وكنت ضالاً فهداك  
الله ، وكنت دليلاً فأعرك الله . . ثم حملك على رقاب الناس ، فجاءك رجل  
يستعديك فضربتك ، فماذا تقول لربك غداً إذا أتيتك » ؟ . . ! !

• • •

ما تقول لربك غداً . . ؟



في هذه العبارة ، يتمثل دين عمر ومهاجته ، وتستمد حياته معاييرها وموازينها .

وفيها يتمثل جواز مروره إلى الدنيا ، وجواز مرور الدنيا بكل طياتها إليه .

فأمام كل لقمة شبة . وأمام كل شرقة باردة . . وأمام كل ثوب جديد تنأقط دموعه . تلك الدموع التي تركت تحت مقلتيه خطين أسودين من قِط بكائه ، ويصلصل داخل نفسه هذا النذير « ما تقول لو نك غداً » ؟

هذا هو جبار الجاهلية ، وعملاني الإسلام .  
هذا هو أمير المؤمنين الذي نفتحت لأعلامه الحافقات أقطار الدنيا ، واستقل الناس جيوشه كأنها البشريات .  
هو ذا ، يؤم الناس في الصلاة فيسمع بكاءه ونشيجه أصحاب الصف الأخير . . ١

وما هو ذا يعدو ، ويهرول وراء بعير أفلت من معطه ، ويلقاه « علي ابن أبي طالب » فيسأله : إلى أين يا أمير المؤمنين ؟  
فيجيبه : بعيرٌ ندُّ من إبل الصدقة أطلبه .

يقول له « علي » : لقد أتعت الدين سيحيثون بعدك . . ١

فيجيبه « عمر » بكلمات مُهْدِجَة :  
- « والذي بعث محمداً بالحق ، لو أن عِزّاً ذهبت بشاطئ الفرات ، لأخذ بها عمر يوم القيامة » . . !  
أكان « عمر » يخاف الله خوف العبد الذي يُرْمِه قرع العصا وكُدْع السياط . . ؟



لا وإنما كان يحشاه خشية الحر الذي يرحو لربه وقاراً ، ويضرع  
إليه إحلالاً وإكباراً ، ويخجل أن يلقاه بتقصير - أى تقصير . . . !  
وهذا هو نشيده دوماً :

- « كنتَ وضيعاً فرفعك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت ذليلاً  
فأعزك الله ، فما تقول لربك غداً إذا أتيت » . . . ؟ !

. . .

ولكن ، لم كل هذه الخشية الضاغطة . والحياة الداهية ؟  
إن « عمر » قد تأدب على يدي رسول الله أحسن تأدب ، وإبه لبتابع  
الرسول في غير جَنَفٍ أو مَبَلٍ ، وإبه لَذُو نَسْكَ عَظِيمٍ ، وإبه لَنَسِيجٍ وَحِيدٍ  
في ورعه ، وإخباته ، وزهده ، وتقواه .

أفلا يُنى هذا على نفسه القلقة كثيراً من الطمأنينة والراحة ؟  
بلى يُنى . . . لو كان إنساناً آخر غير « عمر » ، أما هو فلا يرى في هذا  
النسك كله سوى جُهد المُقِلِّ العاجز ، ولا يرى في توفيق الله له سوى نعمة  
تستوجب شكراً يليق بها . . .

ذابت يوم ، يقول لجليه « أبي موسى الأشعري » :  
- « يا أبا موسى ، هل يَسُرُّكَ أن إسلامنا مع رسول الله وهجرتنا  
معه ، وشهادتنا ، وعملنا كله يُردَّ علينا ، إلقاء أن نَجو كَمَا هُمْ ، لا لنا  
ولا علينا » . ؟

فيجيبه أبو موسى « لا والله يا عمر ، فلقد حاهدنا ، وصَلَّينا ، وصُمْنَا .  
وعملنا خيراً كثيراً ، وأسلم على أيدينا خلق كثير وإنا لَنرجو ثواب ذلك » .  
فيجيبه « عمر » ودموعه تتحدر على وجهه كحَبَّاتِ لُؤْلُؤٍ مَثُورٍ :



« أمّا أنا ، هو الذى نفس عمر بيده لوددت أن ذلك يُردّ لي ،  
ثم أنحو كفافاً ، رأساً برأس » . . . ! !

انظروا إلى أى مدى يهاب الله ويستحي من جلاله ! !  
إن رسول الله بشره بالجنة .

وإيه لأقوى من كل شهوة ورلة ، حتى لكأنه معصوم من الخطأ  
عصمة كاملة . . . ! !

ومع هذا يقف دائماً من الله موقف الخشية والحذر والحياء . .  
ولم لا يكون كذلك ، وهو يرى رسول الله صه ، يقضى لبّله كله  
منهجداً متعمداً ، ونهاره كله صائماً ومجاهداً ، فإذا قيل له : يا رسول الله ،  
لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ يجب عليه  
السلام قائلا : « أفلا أكون عبداً شكوراً » . ؟

إيه توفير الله أكثر ما يكون التوفير ، وشكرانه أكثر ما يكون الشكران . .  
وهذه هي المدرسة التي تربي فيها « عمر » وتخرج  
مدرسة لو لم يخف أهلها الله ، ما فكروا في عصيانه ، ولو لم يكن  
للإثم عقوبة ، ما فكروا في أن ياثموا ، ولو قال لهم الله : اعملوا ما شئتم  
فقد عصرت لكم ، ما خطر ببالهم قط أن يعملوا إلا ما يرضى ربهم ويحب .  
ذلك أن علاقتهم بالله لم تكن بواعثها الفرع بل كانت حب الله  
وتوقيره ، والحياء منه .

وإن إنساننا الباهر العظيم « عمر » . ليمثل قمة هذا الفهم الشديد  
إنه على يقين بأن أحداً لا يستطيع أن يشكر الله حق شكره مهما تكن  
حياته فاضلة عادلة مستقيمة .

وإيه ليعلم أن كل شكر لله . إنا هو بركة جديدة ، تستاهل شكراً جديداً .

وهو يعلم أن ما أفاء الله عليه من نعمة الإيمان والهدى والإمارة إنما هي من محض فضله سبحانه وتعالى ، وأن الله كان قادراً على أن يختص بهذا سواء ، أما وقد آثره هو وقال له : إليك مني هذه العطايا يا « عمر » .  
 فإن هذا ليَجعله ينوب ، وينوب . ويكمش ثم ينكمش . . . ويقول  
 وقد فجر حياته هذا الشعور : « يا ليت أم عمر ، لم تلد عمر » . ! !  
 أو يردد : « ما تقول لربك غداً » . . . ؟ !

إنه مصمم على أن يتموق على ذاته ، ويجاور كل حدود قُدراته حتى يحقق أكبر حظ ممكن من العرفان والشكر لبارئه وحالقه وربه .  
 « عمر » الذي يقف حلف رسول الله - واحداً - من أصحابه .  
 و « عمر » الذي يصبر فيما بعد خليفة لرسول الله وأمينه على أصحابه .  
 « عمر » هنا وهناك ، هو هو ، ذلك الإنسان الحاشع الصارع  
 الأبواب الذي لا يرحو في دنياه وأحراره سوى أن ينجو كدماً لا وزر  
 ولا أجر . . . !

إنه لا يطمع في أكثر من ألا يقف بين يدي ربه خربان بسبب  
 خطأ ارتكبه ، أو مظلمة قصر في ذريتها ، أو نعمة لم يبدل الجهد في  
 شكرها ! !

لا شيء يُؤزقه في نومه ، ويقلقه في صحوه مثل الخشية من أن يسأله ربه  
 غداً في عتاب « لماذا فعلت هذه يا عمر » . . . ؟ ؟

و « هذه » التي هي رمز لأي قِلة مجهولة ، تحمله على أن يقصي عمره  
 كله جواباً داخل نفسه وحارجها باحثاً عن « هذه » . . . ومجادراً أن  
 يقترف هفوة وهو لا يدري . . . ! !

من أحل هذا يترك الطيبات والمناهج التي أحلها الله خشية أن تتكسر فيها



« هذه » التي يحشى السؤال عنها من الله . ! !

لنقرأ بعض فقرات كتابه إلى عامله على البصرة « عتبة بن عروان »  
 « . . وقد صحبت رسول الله ، فعزّزت به بعد الدلة ، وقويت به بعد  
 الضعف ، حتى صرت أميراً مُسلّطاً ، وملكاً مطاعاً ، تقول فيسمع منك ،  
 وتأمّر فيطاع أمرك . فيا لها نعمة ، إن لم ترفعك فوق قدرك ، وتبطلك على  
 من دونك . . . »

« تحوّل من النعمة تحوّلك من المعصية ، قلبي أحومها عندي  
 عليك ، أن تستدرجك وتخدعك ، فتسقط سقطتة نصير بها إلى جهنم ،  
 أعيدك بالله وأعيد نفسي من ذلك » . . . !  
 ويحدثنا جابر بن عبد الله فيقول :

- « رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً في يدي ، فسألني : ما هذا  
 يا جابر ؟ قلت : هو لحم اشتيت فاشتريته ، فقال : أو كلتما اشتيت  
 اشتريت ، أما تخاف أن يقال لك يوم القيامة « أذهنم طيباتكم في حياتكم  
 الدنيا » . . . ؟ !

• • •

نرى ماذا يكون موقفه من السيئات ، هذا الذي يخاف على دبه من  
 الطيبات . ١٤ !

ولكن ما شأن السيئات بعمر ، وهي التي تفرّ منه مذعورة إذا أصرت  
 بوره على بعد فراسخ ؟ ! !

لقد حرم « عمر » نفسه من طيبات كثيرة ، ومن مناجم لم يحرمها الله  
 عليه ؛ لأنه كان يرى نفسه عاجزاً عن شكر القليل ، فلم يرد أن يتورط





في عجز أكثر أمام العم الكثيرة . . . ولأنه كان يحمل في أمانة كاملة  
مستولية القدوة . . . ! !

ولو شاء أن يظفر بالمتاعم المباحة على كثرتها لظفر بها جميعاً ، ولكن  
بطولة روحه وعظمة نفسه ، واستقامة هججه حملته دائماً على أن يلتزم الكفاف  
ويختار الشطّاف

زاره يوماً « حمص بن أبي العاص » ، ، وكان « عمر » جالساً إلى طعامه ،  
فدعا إليه حفصاً ، ولكن حمصاً رأى القديد الباس الذي يأكل منه  
« عمر » ، فلم يشأ أن يكذب معه عما ازدرأه ، ولا أن يُجشّم معدته  
مشقة هضمه ، فاعتذر شاكراً .

وأدرك أمير المؤمنين سرّ عروفته عن طعامه ، فرجع بصره نحوه وسأله .

- ما يمنعك عن طعامنا . . ؟

ولم تنقص الصراحة حفصاً فقال : إنه طعام جشيب عليظ وإني راجع  
إلى بيتي فأصيب طعاماً ليئاً قد صنع لي . .

فقال « عمر » :

- « أنراني عاجزاً عن أن آمر بصغار المقرى ، فليق بها شعرها ،  
وآمر بريقاق البر ، فيخبز خبزاً رقاقاً ، وأمر بصاع من زبيب فليق في سمن .  
حتى إذا صار مثل عير الححل صبّ عليه الماء ، فصبح كأنه دم عرّال  
فأكل هذا وأشرب هذا . . ؟؟ » .

فقال له حمص وهو يضحك : إنك بطيّب الطعام لحبير . . ! !

واستأنف « عمر » حديثه فقال

- « والذي نفسي بيده ، لو لا أن تنقص حسناتي لشاركتكم في ليل  
عيشكم - ولو شئت لكنت أطيبكم طعاماً ، وأرفهكم عيشاً ، ولحسن أعلم

لطيب الطعام من كثير من آكله ، ولكننا ندعه ليوم تدهل فيه كل  
مرضعة عما أرضعت وتنصع كل ذات حمل حملها . . . وإني لأستقي طيباني ،  
لأنى سمعت الله تعالى يقول عن أقوام ، أدهم طيبانكم في حياتكم الدنيا  
واستمتعتم بها . . . ! ! !

هكذا عزله حياؤه من الله عن كل ترف ، بل عن كل راحة في الدنيا ،  
وإني أن يعيب وأهله من الطعام إلا تقوئاً ، ومن العيش إلا كنعافاً . . . ! ! !

. . .

عابداً حثاً موقفه من السلطان ، حيث يتنازل الناس عن أكثر أعمارهم لقاء  
أيام يقضونها سادة حاكمين ، فعابداً نجد . . . !

أما هذا السلطان ، على ضخامة ما أحرز منه « عمر » ، فما شق بشيء  
مثلما شق بأن رأى نفسه خليفة ، وأميراً ، وحاكماً . . . !

لقد كانت أعلى أمانيه أن يطل « عمر بن الخطاب » ، لا غير . .  
فلا هو خليفة ، ولا هو أمير .

ولقد اقتربت منه الخلافة إثر وفاة رسول الله - إذ سبط إليه « أبو بكر »  
بميه في اجتماع السقيفة قائلاً : هات يدك يا « عمر » نبايعك لك ولكن  
« عمر » خلص منها ناجياً ، إذ قال

- « مل إياك نبايع فأنت أفضل مني » .

قال أبو بكر : « أنت أقوى مني يا عمر » .

قال « عمر » : « إن قوتي لك مع فصلك » . وصارع همد بميه وبايع  
أبا بكر ، وبايعه الناس على أثره . .

وحيث كان أبو بكر يودع الدنيا ، ويعهد بالخلافة « لعمر » كان



« عمر » يتقبل مكرهاً وكارهاً إمارة المؤمنين . ولولا أن يكون باعتذاره عنها في هذا الظرف الحرج الدقيق هارماً من واجب سيأله الله عنه غداً ، لرخص السلطان وهرب من الإمارة . .

« أيها الناس . . . إني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم اضطلاعاً بأموركم ما توليت ذلك منكم ، ولكنني عمر انتظار الحساب » . . !

انظروا . . . ولكنني « عمر » انتظار الحساب . . !  
هذا رجل مشغول لا غير بالكلمة التي سيقولها له الله غداً والكلمة التي سيقولها هو لله .

والحطوط الواقعة عنده ليست في منصب أو جاه ، إنما هي في الظفر مرضاء الله سبحانه .

وقد عليه يوماً جماعة من المسلمين النارجين . فسلم عما صادفهم من أخبار الناس في البلاد التي مروا بها . .

فقالوا : « أما بلد » كذا ، فإنهم يرهون أمير المؤمنين ويحافون بأمره . .  
وأما بلد » كذا ، فإنهم جمعوا أموالاً كثيرة تنوء بها السفن وهم في الطريق بها إليك . وأما بلد » كذا ، فإن بها قوماً صالحين يدعون الله لك ويقولون :  
« اللهم اعمر عمر وارفع درجته » .

فقال « عمر » : « مُعَقَّباً على حديثهم هذا :

- « أما من خافني ، فلو أريد بعمر الخير ما خيف منه . . وأما الأموال التي تنوء بها السفن فليت مال المسلمين . . ليس لعمر ولا لآل عمر فيها شيء . . وأما الدعاء الذي سمعتم بظهور العيب ، فذلك ما أرجوه » . . !  
أجل ، هذا خير ما يرجو « عمر » . . مغفرة ربه ورضوانه . أما



السلطان ، وما حول السلطان من زينة وزخرف ونفود ، فتلك محنة « عمر » ،  
وإنه ليسأل الله أن يجتازها في خير وعافية . . !

حين دُعي للمقاء ربه ، واقتربت اللحظات التي سيودع فيها ديبا الناس ،  
وكانت مشعلته الكبرى آتت اختيار الرجل الذي يسلمه الأمانة والزمَام ،  
اقرب منه « المغيرة بن شعبة » قائلاً : أنا أدلك عليه يا أمير المؤمنين ، إنه  
« عبد الله بن عمر » . .

هناك انتص « عمر » وقال . « لا إرب لنا في أموركم ، إني ما حميتُ  
- بمعنى الخلافة - فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي . إن كانت خيراً فقد  
أصابت منه ، وإن كانت شراً ، فحَسْبُ آل عمر أن يُحاسب مهم رجل واحد  
ويُسأل عن أمر أمة محمد . . . ألا إني قد جهدت نفسي وحرمت أهل .  
وإن نجوت كما فاء لا وِزْر ولا أجر إني لسعيد » . . !

بالله ما أنفاه ، وما أنفاه ، وما أبرّه ، وأطهره . . ! !

إنه مهموم بما سيقوله لربه غداً .

إنه يرفض كل نعيم يخشى أن يلجّج لسانه عدواً بين يدي الله .  
ويُجفل عن السلطان على فرط عدله وورعه وأمانته ، مخافة أن تتعثر  
الكلمات على لسانه غداً حين يلتقي الله . !

إن الكلمة التي سيجيب بها عدواً حين يسأله الكبير المتعال ، هي  
« البوصلة » التي تتحرك معها وعلى هداها كل درات كيانه وروحه  
وهو في شدته حين يشتد ، وفي ليه حين يلين ، إنما يحركه حرصه

الشديد على أن يلتقي الله صادق الحجة .

يقول « لعبد الرحمن بن عوف » :



« يا عبد الرحمن ، لقد إئتُ للناس حتى خشيت الله في اللين ،  
ثم اشتددت حتى خشيت الله في الشدة ، وإئتم الله لأما أشد منهم فرقاً  
وخوفاً ، فأين المخرج . . . ؟ ؟ ؟  
يقول هذا ، ويتحجب باكياً .  
فيقول عبد الرحمن بن عوف ، وهو يتملّ هذا المشهد الفريد .  
- « أف لم من بعدك » . . . !

. . .

تُرى كيف قصى الرجل العظيم تلك السنوات العشر ، والأشهر الستة ،  
والأيام الأربعة التي قصاها خليعة للمسلمين وأميراً للمؤمنين ؟ ؟  
تُرى كيف قضاها ، وأمضاها ، وعاماها تحت ضغط هذا الإحساس  
الراجف ، ، والقلب الواجف من خشية الله العلى الأعلى . . ؟  
هل سمع الناس في طول ديارهم وعرضها ، بعاهل استحال كل أمة  
السلطان ويدحه أمام باطريه إلى حمر ملتهب يتوقاه أكثر ما يكون التوق ،  
ويحاول الفرار منه لو يجد للفرار سبيلاً ؟  
عاهل دُئل كل سلطانه لحشية الله ، وهر للناس من الطمأنينة والأمن  
قدّر ما خاف هو الله . . ؟  
حاكم لم تنل من سكينه نصه مهام الأمور وأخطارها ، ولا عقد  
ألوية الخيوش الفاتحة وأحارها ، ومع هذا فقد كان يزلزله زلزالاً شديداً  
أمة مظلوم ، أو نعمة مكروب ، أو مهمة حق ضائع يقول له صاحبه  
« اتق الله يا عمر » . . ! !  
هل سمع الناس بمثله . . ؟ ! ومتى . . ؟



دات يوم وهو جالس مع أصحابه اقتحم المجلس رجل مكروب تغشاه  
وعتاه السفر ، وإد يقترب من الناس ويراهم يقولون لاحدهم يا امير المؤمنين .  
يتجه صوب هذا الأمير ، ويقول له في مرارة :

- « أنت عمر ؟؟ ويل لك من الله يا عمر ! » ثم يهوى لسيله  
غير وإن ولا مكترث ..

ويلحق بعض الحاضرين بالرجل في عيظ منه وحق عليه ، ولكن  
« عمر » يادبهم ويأمرهم أن يعودوا لمجلسهم ، ويهرول هو وراء الرجل  
وفؤاده يرتجف .

ألم يقل له الرجل : ويل لك من الله يا « عمر » ؟؟ إنها العظيمة إذن ،  
وإنه المحول الذي لا يطيق « عمر » عليه صبراً .. !

ويدرك الرجل ثم يعود به ويسأله : « ويلو من الله لماذا ، يا أنح  
العرب » ؟؟

فيجيبه الرجل : لأن عمالك وولاتك لا يعدلون ، بل يظلمون .  
ويسأل « عمر » : أي عمالي تعني ؟ .. ؟

يقول الرجل : عامل لك في مصر اسمه « عياض بن غنم » .  
ولا يكاد « عمر » يسمع تفاصيل الشكوى حتى يختار من أصحابه  
رجلين ويقول لهما : اركبا إلى مصر ، وآتيا عياض بن غنم . ! !

...

هذا الرجل « عمر » ..  
هذا الشامخ العارم الذي يتفجر قوة وجراً وبأساً ..  
إذا أردت أن تبصره يرتجف كعصفور احتواه إعصار ، فليس



عليك إلا أن تقول له : ألا تتق الله يا عمر ؟ ؟  
 هبائك تشهد إيماناً قامت قيامته ، ويبدو كما لو كان واقفاً أمام  
 الله . الميران عن يمينه ، والصراط إلى يساره ، وكتابه مشور أمام عييه ،  
 والأفق كله يدور في سمعه .

« اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حبيباً » . . . !  
 وعلى الرغم من معاناته المصيبة لهذه المواقف ، فإنه كان يقرأ بها عياً  
 ويطيب نفساً . لأنها تذكره بحلال الله ومعاقبه ، ولأنها تمسحه اليقين بأنه  
 لم يجاوز قدره أبداً كعبدة ، وتغادم للناس . . . !

لطالما كان يدعو « أبا موسى الأشعري » لينلو عليه بصوته العذب  
 المؤثر آيات من القرآن العظيم ويقول له : « ذكرنا ربنا ، يا أبا موسى » فيقرأ  
 أبو موسى ، ويكي عمر .  
 وكثيراً ما كان يلقي صياً من الصبيان في طرقات المدينة ، فيأخذ بيده  
 ويقول له وحينئذ تفيضان من الدمع : « ادع لي يا بني ، فإنك لم تُذنب  
 بعد » . . . !

وساعة كان يستقبل الموت ، يقول لانه عبد الله :  
 - « يا عبد الله ، خذ رأسي عن السادة وضعه فوق التراب ، لعل الله  
 ينظر إلي فيرحمني » . . . !  
 إن الميران قد استقام في بد ، عمر ، تماماً حين أسلم وجهه لله وهو  
 محس .

وإن طبيعته الهادرة الحياشة ، وقدراته الفائقة العلانة ، قد هبست  
 نامة الحطى فوق صراط العدل ، والمصلحة ، والواحب ، حين وثقت بالله  
 عراها . وتسلت وراء « محمد » خطاها . .





وليس يُحاذر « عمر » على نفسه وعلى مصيره خطراً مثلما يحاذر أي  
 اعرال عن الله ، وأي انحراف عن طريق رسوله  
 كان قبل إسلامه يتحرى الصواب ليسير وفقه سيرة جدية باسعداده .  
 وعظمة شمائله ، وقوة روحه

أما اليوم ، فقد عرف محض الحق ومحض الصواب حين جاءهم به  
 من عند الله رسول كريم ، لا ينطق عن الهوى

وإن « عمر » ليؤرخ ميلاده بهذا اليوم الذي صافح فيه الرسول وقال  
 « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » .

فيومئذ ، بل ساعئذ ، وجد نفسه ، والتقى بمصيره العظيم . .

وهو حين آمن بالله وبرسوله . وبدينه ، لم يؤمن إيمان العوام ، ولا إيمان  
 المستغربين ، ولا إيمان الهواة . بل آمن إيمان العارفين الأبرار .

وحين سمع لأول مرة آية الله بتلوها رسوله . . تلك الآية التي تقول :  
 « أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ، وَأَنْتُمْ إِلَيَّا لَا تُرْجِعُونَ ؟ » سمعها ، وكأنما  
 بسمعها وحده ، وكأنما أنزلت إليه وحده . وأدرك يومئذ كما أدرك نفسه  
 أن حياته القصيرة مهما تطل سواتها لن تعنى عنه شيئاً ، وأنه بحاجة إلى  
 ألف حياة مثلها لكي يستطيع أن يصنع صبيحاً يرصيه ولكي يستطيع أن  
 يعبد ربه ويشكره

من أجل هذا . كان شديد الخوف على اللحظة العابرة أن تضيع وعلى  
 الكلمة العابرة أن تتحرف . . وعلى الخلعة العابرة ، أن تزَلَّ . .

كان شديد الخوف على حياته السامقة أن تعيرها خطيئة ، أو تعيب  
 شبهة ، لأنها لو كانت ملكاً له لوجب عليه أن يرزأ بها عن كل سوء .  
 فكيف وهي في تقديره ليست حياته ، وليست ملكه إنما هي ودعة الله



عنده والله صاحبها وما ليكها وسوف يمانه عها : « أفخيم أماً حلقناكم  
عَبَّأً ، وأنكم إلينا لا تُرجعون » . . . ! !

من أجل هذا ، عاش قلقاً مؤرقاً . . ولكنه القلق الذكي المتعت  
والأرق المفكر المحتل . . .

لا ينام إلا عيًّا . ولا يأكل إلا تقوًّا . . ولا يلبس إلا حشاً . يقظان  
دائماً . . .

يقول . « إدامتُ الليل أضعتُ نفسي ، وإدامتُ النهار صيبت  
الرغبة » . . . ! !


ويسأل كل من يلقاه في لحظة وجد : « قل لي بربك ولا تكذبي  
كيف تجد عمر . ؟ أنتحس الله عني راضياً . ؟ أتراني لم أحرو الله  
ورسوله فيكم » . . . ! ! ؟ ؟

وإذا غشيت من مظنة التقصير غاشية ، صاح صيحة مكطومة .

« يا ليت أم عمر ، لم تلد عمر » . . . ! !

كل هذه الرجعة . كل هذا الحياء . . كل هذا هم الخليل ،  
لأنه لا يدري :

ماذا يقول لربه غداً . . . ! ! !



## الفصل الثالث

الآنك ابن أمير المؤمنين؟



رأياه كيف وهب طبيعة سوية متفوقة باهرة .  
ورأيه كيف وصل طبيعته هذه بالله . ووضعها في خدمته وعند أمره .  
وانسان يتواخر له هذا ، لا بد أن يكون إحساسه بالمسئولية مشحوناً  
وعارماً

وإن عمر لذلك الإنسان .  
يفعل بالمسئولية . ويتبتل لها ، ويقبل عليها ، في مثل عزم المرسلين . .  
والمسئولية لديه لا تتجزأ ، ولا تتنوع ، ولا تتفاوت . .  
ليس هناك مسئوليات صغيرة وأخرى كبيرة . مسئوليات عادية وأخرى  
فوق مستوى العادة .

هناك مسئوليات وحسب .  
و « عمر » أمام هذه المسئوليات هو « عمر » الذي يحشد لكل  
نعة ولكل عمل ، احتشاداً لا تتفاوت درجاته لأنه يتصرف وفق طبيعته  
القوية الأمانة المؤمنة .




وطبيعته هي الأخرى لا تتحرراً ، ولا تنقسم . . . كل عمل من أعمال  
 « عمر » يجد فيه « عمر » كله . . .  
 صعب عليك على أية واقعة من وقائع حياته ، تجد فيها شوائله كلها -  
 عدله ، ورعه ، زهده ، إيمانه ، شدته ، ليه ، عظمت ، بساطته . . . !  
 وهو لا يتحمل من المسئولية القدر الذي يخصه ، ويرى ذمته ، بل يتحمل  
 منها القدر الذي يتطله الموقف جميعه ، ويتحقق به المسئولية كل ذاتها ،  
 ولا يسأل نفسه ساعته إن كان وحده ، أم كان معه نصراء .  
 إن بين جوانحه ، وقلبه نفسه ثغاباً رهائياً ، لا يسأل عن العواقب  
 ولا يجرى بين يديها أى تقدير أو حساب . . . ! !

• • •

لقد كان يوم أسلم ، العضو الأربعين بين رجال هذه الجماعة المؤمنة  
 ولا يكاد يمحى على إسلامه لحظات . أجل لحظات ، حتى يتعوض في  
 قلبه الشجاع إحساسه بمسئوليته عن الدين كله ، ومن هذه الجماعة المسلمة  
 كلها ، بل وبمسئوليته عن مستقبل الدين وأهله عبر القرون الآتية والدهور  
 المقبلة .

ومن ثم يجرح من فوره معلناً إسلامه على الصورة التي أشرنا إليها من  
 قبل وهو آتد يدرك تماماً أنه لا يعلن إسلامه هو . إسلام « عمر بن  
 الخطاب » . بل يعلن إسلام التسعة والثلاثين الذين سبقوه إلى الإسلام ،  
 والذين يعدون الله حمية - بل يعلن أيضاً إسلام مئات الملايين القادمة  
 عبر المستقبل ! !

ولا تغف مسئوليته عن هذا الدين الذي اعتنقه بإعلان إسلامه ،

بل تجاوز ذلك إلى إخراج الإله  الخفاء الذي اضطرم إليه  
اصطهاد قريش . .

وهكذا يذهب إلى رسول الله قائلا :

« والله يا رسول الله لن نعبد الله سرّاً بعد اليوم » . .

ويخرج الدعوة لتواجه خصومها ، وتنادى الموعودين بها . وتلقى قريش  
من تكبيراتها المدوية أولى الكلمات في منشور نعيها ، ونفى أصنامها . . ؟ ؟

. . .

كانت هذه أولى بركات « عمر » . .

وكان هذا نموذجاً للأسلوب الذي سيتحمل به « عمر » مسئولياته عن  
دين الله ، ودنيا الناس .

إنه أسلوب رجل يرى نفسه تجاه الأحداث والمواقف ، وكأنه المسئول  
الأوحد عنها

كل أزمة ستواجه الإسلام والمسلمين ، سيواجهها « عمر » ، بوصفه  
المسئول وحده عن مقارعتها وحلها .

وإيمانه بمسئليته هذه سيدفعه إلى أن يرفض على طول الخط كل دنية  
في الدين ، وكل ملابنة لأعداء هذا الدين .

وعلى الرغم من إيمانه المطلق برسول الله ، فإن مسئليته ستتحرك في  
كل الاتجاهات حتى لو يجعله يبدو - معارضاً - للرسول الذي يقلمه  
وبتديبه . . ! !

ففي صلح الحديبية يرى « عمر » أن المزايا التي أعطاها الرسول عليه  
السلام لكفار قريش سخية وكثيرة ، وهو يؤمن بضرورة مناجزتهم ودخول



مكة عليهم طوعاً منهم أو كرهاً لهم ، ما داموا لا يريدون أن يحسوا للسلام .  
ويحتكموا إلى الحق

وما دام الحق واثباً في معركة ، فلا بد للحق أن يستعلي ، بدل أن  
يهادن . ولا بد له أن يثأر ، بدل أن يسير .

هكذا فهم : عمر ، المسألة ، وكَوْنُ الرأي ، ولم يكن للحهر به  
من مهر . . .

وهكذا أقبل على رسول الله قبل أن يبدأ الكاتب في تحرير صحيفة  
المعاهدة وقال :

- يا رسول الله ، أَلَسْنَا على الحق ، وهم على الباطل ؟  
قال الرسول : بلى . . .

قال عمر : أليس قتلنا في الجنة ، وقتلهم في النار ؟  
قال الرسول : بلى . . .

قال عمر : فعلام تُعطى الدِّيَّةُ في ديننا ، ونرجع ولما يحكم الله بيننا  
وبينهم . . . ؟

قال الرسول : اس الحطاب . . . ؟ إني رسول الله ولن يصيغني الله أبداً .  
وَتَرَنُ عِثَارَةَ إني رسول الله ، في رُوحِ عَمْرٍاءِ ربي الصدق ، ويستنتج  
من بطق الرسول بها في هذا المقام ، أن الحطة أكثر وأبعد من أن تكون  
بمجرد رأي عابر لرسول الله ، فيسكت .

ويذهب غير بعيد ، يدبر خواطره على الموقف كله ، ويعود إحساسه  
العارم بالمسئولية فيعاليه ، ويُغريه بالمعاودة ، فيطلق حديثاً إلى أبي بكر  
رضي الله عنه ، ويُسرُّ في أذنه الحديث

يا أبا بكر ، أَلَسْنَا على الحق ، وهم على الباطل ؟





- بلى يا عمر . . !

فلماذا إذن يعطى الدية في دينا ، ونرجع ولنا يحكم الله يسا  
وبينهم ؟ . . !

ويطمئنه أبو بكر إلى أن الله لن يتحل عن رسوله ، وأن فتح الله  
قريب

ويهدأ « عمر » . . وإن كان هدوءه هذا لم يمنعه أن يُسَيِّع « مهيل  
ابن عمرو » مدبوق قريش ، بنظرات مضطربة فائكة . . !  
وعلمنا مات عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان كبير المنافقين في المدينة ،  
عارض « عمر » في إصرار « صلاة رسول الله عليه .  
ولنصغ إلى « عمر » نفسه بقص علينا النبأ .

لما تولى عبد الله بن أبي ، دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
للصلاة عليه ، فقام إليه . فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت  
في صدره ، فقلت يا رسول الله ، أعلّ عدو الله تصل . . ؟ وأحدث أعداد  
أيامه الخبيثة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتشم ، حتى إذا أكلت عليه ،  
قال ، أحرعني يا عمر ، إني خيرت فاحترت ، قد قيل لي استغفر لهم ،  
أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، فلو أعلم  
أني إن زدت على السبعين غفر له ، لزدت . ثم صلى عليه وشئ مع حازته  
وقام على قبره حتى فرغ منه . .

« فعصيت لي ، ولحرأني على رسول الله ، هو الله ما كان إلا بسيرا حتى  
نزلت الآية : [ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ]  
فما صلى بعدها رسول الله على صاهق ، ولا قام على قبره حتى قصه الله  
عز وجل . . . ! !



هذا المشهد يكشف عن الطريقة التي كان «عمر» يحمل بها مسئولياته في شجاعة وصدق .

مركوب مخاطر الدنيا كلها أهون عليه من أن يقول للرسول : لا . ولكنه إنسان لا يملك أمام مسئولياته خياراً . وما دام يرى من واجبه أن يقول : لا . . . فليقلها وأمره إلى الله ؛ فإذا استمسك الرسول بموقفه يكون «عمر» قد قال كلمته وأبرأ ذمته ، وليس أمامه بعد هذا سوى سبيل الطاعة والإيمان .

وهو في هذه الواقعة ، قدّر أن صلاة الرسول على منافق ضخم كعبد الله بن سلول ، عمل يغري المنافقين بمزيد من النؤم والصلف ، ويصائل من حرمة الصدق والإخلاص عند كثير أو قليل من الناس .

وإجلاله المسئولية يدعوه لإعلان هذا الرأي ، حتى في مثل هذا الموطن ، حيث وقف الرسول بالفعل ليصلي على جثمان الرجل ، فيعترضه «عمر» ويقول : أعلّ عدو الله تصلي يا رسول الله . . ؟ !

على أن تناول «عمر» مسئولياته ، يبدو أروع وأسهى ما يكون عدم صار أميراً للمؤمنين . . ! !

هنا نلتقي بأعظم آيات الضيق الإنساني . .

هنا ، نبصر نبوغ النفس ، وبطولة الروح . وإعجاز السلوك . ! !  
هنا ، نرى مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا يكاد يحيط بقلب بشر . !

أجل ، هنا العظام تفوق على نفسها ، ويرحم بعضها بعضاً هذا «عمر» . . رضي الله عن «عمر» ! ! !

حاكم يحمل مسئولياته على بساط فداء . ويعطي البشر جميعاً إلى

آخر لحظة في الأبد ، درساً في الأمانة - أي درس ، وقادة في الذمة  
أي قدوة . . . ! !

موقفه من نفسه . موقفه من أهله . موقفه من الضعيف ومن القوى  
و قومه وأمنه . موقفه من ولاته . موقفه من أموال الأمة .  
مواقفه هذه ، المترعة بإجلال مقطع الطير لمسئولته تجاه عمله ،  
وتجاه أمانة الحكم في كل مجال الحكم ومطاهره  
أما هو كحكم . فقد حرم نفسه لا من الطيبات المشروعة للحاكمين  
فحسب . بل من الطيبات المشروعة للمواطن العادي في كل زمان ومكان  
فعل ذلك بروح المسؤولية التي حُبَّتْ إليه أن يكون أول من يحوز  
إذا جاع قومه . وآخر من يشبع إذا شبعوا . والتي فرضت عليه أن يعانى  
كل ما يعانى به الناس من عمل وشغل .  
وابه - رضى الله عنه - ليصور هذا الصمير القوى في فلسفة حكيمة  
فيقول :

« كيف يعينى شأن الناس ، إذا لم يُصنّف ما يُصحبهم » ! !  
وهكذا رأينا أمير المؤمنين ، يلتزم أكل الزيت ، حين أصاب المسلمين  
أزمة شديدة في اللحم والسم ، ويُدمن ابن الخطاب أكل الزيت حتى  
تس أمعاؤه وتقرقر ، فيضع كفه على بطنه ، ويقول :  
« أيها البطن لتمرّس على الزيت ، ما دام السمن يباع بالأواني » ! !  
وفي عام الرمادة ، وكان عام مجاعة قاتلة في المدينة ، أمر يوماً بنحر  
حُرور ، وتوزيع لحمه على أهل المدينة . .  
وقام المحتصون بإعجاز المهمة ، بيد أنهم استشفوا لأمير المؤمنين ، أطيب  
أجزاء الذبيحة .



وعند العشاء ، وجد « عمر » أمامه على المائدة سَامُ الحرور وكده ،  
وهما أطيب ما فيه .. ! فقال :

- من أين هذا .. ؟

قبل : من الجزور الذي ذبح اليوم .

فقال ، وهو يزيج المائدة بيده الأمانة :

- بَيْعٌ بَيْعٌ ، بشر الوالى أنا ، إن طعمتُ طيبها ، وتركْتُ للناس  
كراديسها - بمعنى عظامها - .

ثم نادى خادمه أسلم ، وقال له :

- يا أسلم ، ارفع هذه الجفنة ، واتنى بخبز وزيت . ! !

إن قوله : « بش الوالى أنا ، إن طعمت طيبها » يرسم الصورة الكاملة  
المصيبة لروح المسئولية التي كانت تسيطر على تصرفات ذلك العاهل  
المنقطع النظير .

إنه رجل يرى نفسه واحداً من الناس آثره الله عليهم بمزيد من التعة  
والواحب حين ولّاه أمرهم . واستحلفه عليهم . ولم يؤثر امتياز يجعل  
الحكم كلاً مباحاً ، وقصاً بواحاً . ! ! !

على أن « عمر » وهو أمير للمؤمنين ، يذل من الجهد ، ما يشفع له إن  
هو امتار لنفسه طعمة طيبة تُعبه وتقويه .

هذا منطقنا ، وهو منطق عادل في رأينا .

أما « عمر » ، فصاحب منطق آخر وهو يعرف العدل في دُراه  
العالية التي تنقطع الأنفاس دون بلوغها ! !

هو يدرك أن مسئولية تقنضيه أن يوفر للناس عيشهم ، فإذا قعدت به  
دون هذا ظروف لا يملك لها دعماً ، تكون مسئولية أن يُسوى بينهم بالحق



وأن يكون هو أول من يحمل حظه من الحصاصة والصنك  
 ذات يوم يتلقى من أحد ولاته هدية من الحلوى ، ولا تكاد توضع  
 بين يديه حتى يسأل الرسول الذي جاء يحملها :  
 ما هذا . . ؟

قال حلوى يصنعها أهل أدريجان ، وقد أرسلني بها إليك عنة  
 ابن فرقد . وكان واليا على أدريجان - هدايقها « عمر » ، فوجد لها  
 مذاقاً شبيهاً . .

فعاد يسأل الرسول :

- أكل المسلمين هناك يطعمون هذا . . ؟

قال الرجل : لا . . وإنما هو طعام الخاصة .

فعاد « عمر » إغلاق الوعاء جيداً ، وقال للرجل :

- أين بعيرك . ؟ حد جملك هذا ، وارجع به لعنة ، وقل له :

« عمر » يقول لك اتق الله ، وأشبع المسلمين مما تشبع منه ! !

هذا حاكم لا يلقاه في مكان الصدارة ، ولا في مقدمة الموكب إلا

حين تكون المخاطر داهية أما دون هذا ، فقد احتار مكانه دوماً هناك .

آخر مقعد . في آخر صف . ليحرس القافلة ، ولينأكد إذا كان ثمت

بعملة مفسدة ، أم لم تطلعه إلا بعد أن تكون قد مرت . للناس جميعاً ! ! !

. . .

فإذا حثنا موقفه من أهله وأسرته ، وحدنا تقديماً للمسئولية لا بضاهية

تقديس ، وإكباراً لأمانة الحكم . لا بضاهية إكبار .

إنه لا يحرمهم مما ليس لهم بحق فحسب . بل مما هو لهم حق مشروع .

وإنه ليحصلهم من المسئوليات أصحاف ما يحصله بطرائفهم من الناس ،  
حتى صارت قرابة « عمر » عيشاً يود الأقباء لو استطاعوا منه الفرار . ! !  
إن أمير المؤمنين يعلم أن أمانة الحكم لا تمتحن امتحانها الوثيق إلا هنا  
في علاقات الحاكم بأهله ، هل لهم قانون ، وللمناس قانون ؟ أم أنهم والمناس  
سواسية أمام قانون واحد ، وعدالة واحدة ؟ ؟

من أجل هذا بالعم في إلزامهم جميعاً مسئولي القدوة  
ولطالما حصلهم على شطف العيش ، ولأواء الحياة لطالما اترع من  
أيديهم ، بل من أفواههم اللقمة الطرية . . ! !  
ولقد كانت الأرض تميد ، والسماء تمور ، حين يعلم أن أحداً من أسرته  
ذهب بامتياز أي امتياز . . !

وكان إذا سن قانوناً ، أو حظر أمراً ، جمع أهله أولاً . وقال لهم :  
« إني قد نيت الناس عن كذا ، وكذا » وإن الناس يطرون إليكم  
كما ينظر الطير إلى اللحم ، فإن وقعتم وبقوا وإن هبتم هابوا . وإني والله  
لا أوتي برجل منكم وقع فيما نيت الناس عنه إلا صاعقت له العذاب لمكانه  
مني . فمن شاء منكم فليقدم ، ومن شاء فليأخر » ! !  
أرايتم . . ؟ ؟

« صاعقت له العذاب لمكانه مني » .

إن القرابي من عمر . لاتعني أن العدل في إحارة . . ولاتعني أن  
القانون لعم . بل تعني أضعافاً مضاعمة من التبعة والمسئولية والحرمان  
تعني البعد من كل شبهة . والتخلي عن كل متعة . تعني أن يتقدم هؤلاء  
الأقرباء عند الخطر ، ويتأخرون عند المعيم ، بل هي كذلك تعني عند  
« عمر » حرمانهم من حق مكتسب ، تفادياً لشبهة محتملة . . ! !



ولو رأيناه وهو يعاتب ولده ، عبدالله بن عمر ، لرأينا عملاً . .  
 مع أن عبدالله رضى الله عنه كان إماماً في الورع والزهد والتقى .  
 كان يتمتع خطى أبيه ، ولم تكن هذه لترين له شهة من سوء ؟  
 ومع هذا ، فما كاده عمر ، يراه يتروح بعمه متواضعة من نعم الحياة  
 الدنيا ، إلا قال له :

- « أأنتك ابن أمير المؤمنين ؟ » ١ .  
 وكانت هذه العبارة . « أأنتك ابن أمير المؤمنين » تمثل الشعار الحى  
 الذى رعه « عمر » لأهله خاصة ، وللناس كافة تجاه الحق والمعدلة .  
 يدخل يوماً دار ابنه عبد الله . فيجده يأكل شرائح لحم ، فيغضب  
 ويقول له :

- « أأنتك ابن أمير المؤمنين تأكل لحماً ، والبأس فى خصاصة . ؟  
 ألا خبزاً وسلحاً . ؟ ألا خبزاً وزيتاً . ؟ » ١ ١ ٢  
 ويخرج إلى السوق يوماً فى حولة تميشية ، غيرى إبلاً يهائناً ، تمتاز عن  
 بقية الإبل بنموها وامتلائها ، فيسأل :

- « إبل من هذه . ؟ » ٢ ٢ .

قالوا : إبل عبد الله بن عمر .

وانتقص أمير المؤمنين ؟ كأنما القيامة قامت ، وقال :

- « عبد الله بن عمر . ؟ » ٢ ٢ . مع نخ يا ابن أمير المؤمنين ! !

وأرسل فى طلبه من هور ، وأقبل عبد الله يسعى . . وحين وقف بين يدى  
 والده ، أخذ « عمر » يقتل سلة شاربه - وتلك كانت عادته إذا أمره أمر  
 خطير - وقال لابنه :

- « ما هذه الإبل يا عبد الله . ؟ » ٢ ٢ .



فأجاب : إنها إبل أنصاء - أي هزيلة - اشتريتها بحالي ، وبعثت بها  
إلى الحمى - أي المرعى - أتاخر فيها ، وأبتغى ما يتعنى المسلمون  
معقب : عمر ، في تهكم لاذع :

- ويقول الناس حين يرونها . . ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين . اسقوا  
إبل ابن أمير المؤمنين . وهكذا تسمى إبلك . ويربوا ربحك يا ابن  
أمير المؤمنين . . ! !  
ثم صاح به :

- [ يا عبد الله بن عمر ، حذ رأس مالك الذي دفعته في هذه الإبل .  
واجعل الربيع في بيت مال المسلمين ] . .  
يا خالقي هذا الإنسان ، سبحانه . . ! ! !

إن ، عبد الله بن عمر ، لم يأت أمراً نكراً ، إنما يستثمر ماله الحلال  
في تحارة حلال ، وهو بدينه القوي وأخلاقه الأمانة فوق كل شبهة .  
ولكن لأنه ابن أمير المؤمنين ، يحرمه أمير المؤمنين ، مما هو له حق  
مطمة أن تكون بؤنه لعمر ، قد هيأت له من العرص مالا يتواهر لغيره من  
الناس . . ! !

هذا حاكم يمسك الميراث في رهة لا تماثلها رهة . وهو لا يدرأ أهله  
عن أن يكونوا أهل خطوط ومرايا فحسب بل إنه ليضطربهم إلى أن يعيشوا  
معه فوق صراط أخذ من الشجرة وأرق من الشعرة ، حتى لكأنما رزقوا بقراءة  
عمر ، بدل أن يهنأوا بها ويشنخوا فيها . . !

يصل إلى المدينة يوماً بعض أموال الأقاليم ، فتذهب إليه استه حصة ،  
رعى الله عنها ، لتأخذ نصيبها . وتقول له مداعة :





- يا أمير المؤمنين . حق أقاربك في هذا المال . فقد أوصى الله  
بالأقربين .

فيحبها جاداً :

- يا بُنية ، حق أقربائي في مالي . . أما هذا ، فقال المسلمين .  
قومي إلى بيتك . . ! !

هذا رجل نأذب على يد محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام .  
ونظما رآه يقول لأحب الناس إليه . استه « فاطمة التول » لا يا فاطمة .  
إن في المسلمين من هم أحوج منك لهذا المال . .

ثم يحرمها ويعطى سواها ! !

من هذا المنهل ارتوى « عمر » ، وعلى هذا الهدى سار .  
وهو يضرب أنه ودويه أن يرتفعوا دوماً إلى مستوى المسئولية لا الخطوة .  
فليس لدى « عمر » خطوة للإنسان . .

هو يريد منهم أن يكونوا عوناً له على واحة . ودلت يقتضيه أن يبدلوا  
جهداً أكثر ، ويحفظوا تفوقاً أكبر .  
يقتضيه أن يعطوا كثيراً . ويأخذوا قليلاً . وينظروا من الله حسن

الثواب

أجل يقتضيه أن يكونوا قدوة لأهل العفاف والكفاف  
حين أود الله على المسلمين في عهده حيراً كثيراً . وامتلأ بيت المال  
بدين . أشار عليه عمر من صحبه . أن يقوم بإحصاء الناس . ورصد  
أسماءهم في ديوان . حتى يبالغوا جميعاً رواتهم السوية في نظام محكم  
واختيار لهذه المهمة - عقيل بن أبي طالب . وحير من مطعم . ومحرمه  
من نوفل . وكذبوا أعلم الناس بأسباب غريش ، وأكثرهم معرفة بالمسلمين

جلسوا يدعون الأسماء ، بادئين بيى هاشم ، ثم بآل أبي بكر ثم بنى عدى  
آل عمر . . .

فلما طالع أمير المؤمنين الكتاب رده إليهم وأمرهم أن يقدموا على آل عمر  
كثيرين غيرهم اقترح أسماءهم ، وذكر عائلاتهم . . . وقال : « ضعوا عمر  
وفومه موضعهم » . . . ! !

وعلم « بنو عدى » بهذا ، فذهبوا إليه راجين أن تظل أسماؤهم في مقدمة  
الديوان كي ينالوا أنصباهم والمال وفر ، وقالوا له : ألسنا أهل أمير المؤمنين . . ؟  
فأجابهم عمر :

- « يخ يح بنى عدى ، أردتم الأكل على ظهري ، وأن أقب حساني  
لكم ، لا والله لتأخذن مكانكم ولو جثم آخر الناس » .

إن القرابة من أمير المؤمنين ، لا تعنى كما أسلفنا الأثرة والحظوة إنما  
تعنى العرق والشطف . . .

ولقد رفض أمير المؤمنين إلحاح أصحابه وإخوانه لكي يُولى ابنه عبد الله  
منصباً من مناصب الدولة . . .

ولقد كانوا في إلحاحهم مدفوعين بحرصهم الشديد على الانصاع  
بمواهب النادرة . . .

ولكن « عمر » رفض كما رفض عند موته أن يرشحه للخلافة .

بل رفض أن يجعله ضمن الستة الذين رشحهم هو ليختاروا من بينهم خليفة  
قائلاً . « حَسْبُ آل عمر أن يحاسب منهم واحد ، هو عمر » . . . ! !

لكن يا أمير المؤمنين ، إن ولدك عبد الله هو التقي العادل ، فهل  
دنه ، ودنب الناس الذين سخطهم ولايته أنه ابن أمير المؤمنين . . ؟ !

طالما قيل هذا القول لعمر . . فيذكر قائله بأن عبد الله ليس هو التقي



العادل وحده . . . وهالك في المسلمين تُعزى به من سب والتقوى ، فإذا أثره  
« عمر » عليهم يكون قد حائى وجامل . . . !

ثم إن « عمر » رجل « قدوة » ، قبل أن يكون رجل « حكم » ؛ فإذا  
استعمل اليوم صالحى أهله . فأبان بذهاب إذا جاء من بعده حكام يُسرفون  
في تولية أهلهم . ويقولون : لقد فعل هذا « عمر » . . . ؟ !

من أجل ذلك وضع مبدأ جليلاً فقال :

- « من استعمل رجلاً لمودة أو قرابة ، لا يحمله على استعماله إلا ذلك .

فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

إيه إذا وليَّ عبد الله ابنه عملاً ، لن يفعل ، لمكان عبد الله منه ؛ بل  
لخص استحقاقه وكفايته . ومع هذا يصر على موقفه . . .

جلس يوماً بين أصحابه وقال :

- « أعيالى أهل الكوفة . . . إن استعملت عليهم كلباً استضعفوه وإن  
ولينهم القوى شكّوه ، ولوددتُ أنى وجدت قوياً أميناً مسلماً ، أستعمله  
عليهم » .

فقال أحد جلسائه : أنا والله أدلك على القوى الأمين المسلم . . .

قال عمر متحزراً . من هو . . . ؟

قال الرجل : عبد الله بن عمر .

فأجاب أمير المؤمنين قائلاً : قاتلك الله . والله ما أردتُ الله بهذا . . .

ثم اختار والياً آخر . . . ! !

. . .

لقد اعتدنا أن نصح هذا السلوك المعجز لعمر . تحت عنوان الرهد

أو التفتش ..

فصبر بحجج وبتفتش في مطعمه ، وملسه ، ويحمل أهله معه على ذلك بدافع ، نسيبه زهداً .

ولكن الحق أن وراء الزهد ، حافراً أبعد غوراً وأعمق جذوراً .  
ذلك هو الاحترام الفريد لمسئوليته ، والتغاضي القذ في الإخلاص لشعباته وواحه .

إن للمسئولية في صميمه الطاهر الحي قداسة مطلقة ، وجميع الاعتبارات والمواقف . فكيف وفق مقتضيات هذه المسئولية ، ولا تخضع هي لأي موقف أو اعتبار .

ولعل من حظوظنا برببة أن نطالع هذه الحطة القيمة التي استهل بها عهد خلافة :

« . بلعي أن الناس هابوا شدي ، وحاموا غلظتي ، وقالوا : قد كان عمر يشتد ورسول الله بين أظهرنا . ثم اشتد علينا . وأبو بكر وأبنا دونه . فكيف وقد صارت الأمور إليه . . ؟ »

« ألا من قال هذا فقد صدق . فإن كنت مع رسول الله عونه وخادمه وكان عليه السلام من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة . وكان كما قال الله تعالى [ بالمؤمنين رؤوف رحيم ] فكنت بين يديه سبيها مسلولا حتى يعملني ، أو يدعي فأمضى . فلم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض . والحمد لله على ذلك كثيراً . وأنا به أسعد . ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر . فكان من لا تذكرون دَعْنَه . وكرمه ، وليه . فكنت خادمه وعونه . أحاط شدي بلبه فأكون ميباً مسلولا حتى يعملني فأمضى . فلم أزل معه كذلك حتى قصه الله عز وجل وهو عني



راض ، والحمد لله على ذلك كثيراً . وأنا به أسعد . .  
 « ثم إنى قد وليت أموركم أيها الناس . فاعلموا أن تلك الشدة قد  
 ضعفت . ولكم إني تكون على أهل الظلم والتعدي . فإما أهل السلامة  
 والدين والقصد فإنا لنرى هم من بعضهم لبعض . ولست أدع أحد يظلم  
 أحداً أو يعتدي عليه حتى أصعب حده على الأرض . حتى يدعى لعن .  
 وإنى بعد شدة تلك . أصعب حدى على الأرض لأهل العفاف . وأهل  
 الكفاف .

ولكم على أيها الناس حصن أدكرها لكم محذون .  
 لكم على ألا أحنى شئ من حراكم وما أفاء الله عليكم إلا من وجهه .  
 ولكم على إذا وقع في بدي . ألا خرج مني إلا في حقه . ولكم على أن  
 تريد عصاياكم وأوراقكم إن شاء الله تعالى . وأسد شعوركم . ولكم على  
 لا أقبلكم في المهات . وإذا عنت في المعوث فإنا أير العيال حتى نرحموا  
 إليهم . . .

« فانفروا الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني . وأعينوني على نفسي  
 بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وإحصاري الصيحة بها ولأني الله من  
 أمركم . . . !!

• • •

هذه الحصة . ليست أجمع حطب . عمره . ولا أكثرها ألفاً وبوراً ولكمها  
 في هذا المقام تلقى صباء عمرا على المعاهر العميق الذي كان يحرك الرجل  
 الكبير ويهدي خطاه . .  
 « فقد كان ورسول الله حتى . سيفاً مسلولا على كل ما هو ريف وناطل .



يضرب به الرسول ما يشاء . . .

وكان وأبو بكر حي ، السيف المسلول نفسه في يد خليفة رسول الله . .  
أى أنه كان جندياً ، قد يناقش قائده ، ولكنه آخر الأمر السبع المطيع . .  
أما اليوم ، فقد صار السيف والصارب معاً . . الجندى ، والفائد جميعاً . .  
ومسئولته عن كل شيء مسئوليّة مباشرة . .

وهو لا يعد نفسه مسئولاً أمام الناس ، ولا أمام التاريخ . ولا أمام شيء  
من هذه المصطلحات . بل هو مسئول أمام الحق المين - الله الذى لا يخفى  
عليه خافية . . ! !

أهل - أمام الله العمل الكبير بحمل « عمر » المسئولية التى كان يحملها  
صاحباه - رسول الله ، وخليفته أبو بكر . .

. . .

وإذا كنا رأينا كيف تفوق بمسئوليّاته على كل حوارج النفس ، ورغبات  
الأهل .

فلننظر الآن كيف باشر مسئوليّته تجاه الناس الذين استخلفه الله  
عليهم .

وهنا يلتقى مثلما التقينا من قبل ، وكما سنلتقى من بعد بالرجل الذى هو  
نسيحٌ وحده . .

إنه يرى مسئوليّته مباشرة عن كل رجل في بيئته . . عن كل امرأة  
في بيتها . . عن كل رضيع في مهده . . ! !

وهو يبدأ مسئوليّته تجاه الناس ، بأن يعيش في أدنى مستويات عيشتهم .  
فإذا دُمست عليه لقمة متميزة قال كما قرأنا من قبل « بشى الوالى إن



أنا طعمت طيبها ، وتركت للناس عظامها . . !  
 وأعجب من كل عجب ، أنه لم يسلط سلوكه هذا تجاه الأحياء وحدهم ،  
 بل تجاه الأموات أيضاً . . ! !

فكان يرفض أن يظفر بنعم لم يظفر به إخوانه الذين سبقوه إلى الله ،  
 واستشهدوا في سبيله قبل أن يمكن للإسلام والمسلمين . .  
 حين زار الشام ، حتى له بطعام طيب ، مختلف ألوانه ، وبدلاً من أن  
 يقل عليه ، وينعم بمذاقه ، رمته بعينين باكيتين وقال :  
 - « كُلْ هذا لنا ، وقد مات إخواننا فقراء لا يشبعون من خبز

الشعير » ! ! ! !

وهو يأخذ بمكافئ الجبارين العتاة حتى يخضعوا للحق . ويؤطشوا الأكاف  
 لإخوانهم الذين يتميزون عليهم .

وفي الوقت نفسه يضع حده هو على الأرض - كما سمعناه بحطب من  
 قبل - لأهل المضاف وأهل الكفاف . .

وهو يحمل مسئولياته فوق كاهله . . ، ولا يوزعها على الآخرين الذين  
 هم بمسئولياتهم مشغولون . .

فإذا تقدم منه أحد أصحابه ليربحه من عمل ، أو يشاركه فيه ، نهره  
 قائلاً : « أتحمل وزري يوم القيامة » . . ! !

وحين يبصر الجو النفس المشحون بالاهتمام والحركة عندما تنادي  
 « عمر » إحدى مسئولياته ، نرى عالماً يهوج ويتحرك ، وليس فرداً  
 مجرد فرد . .

والحدث العابر الذي لا يكاد يحسه أكثر الناس بقفزة وتحفزاً  
 وإنسانية . . كان « عمر » يرتجف منه ، ويحتشد له ، ويقبض عليه الأشباه



والنظائر ثم يضح تشريعاً ، ويسن قانوناً . .

قدم المدينة بعض التجار في إحدى الأمسيات ، وحيّموا عند مشارفها ،  
فاصطحب أمير المؤمنين عبد الرحمن بن عوف ليعقد أمر القافلة ، وكان  
الليل قد تصرّم ، واقترب المربع الأخير منه . . وعند القافلة النائمة اتخذ  
« عمر » صاحبه مجلساً على مقربة منها ، وقال « عمر » لعبد الرحمن :  
فلننض بقية الليل هنا ، نحرس ضيوفاً . .

وإذ هما جالسان ، سمع صوت بكاء صبي ، فاتبه « عمر » وصمت .  
واشطر أن يكف الصبي عن بكائه ، ولكنه تمادى فيه ، فمضى بسرعة  
صوته ، وحين اقترب منه وسمع أمه تنهيه ، قال لها : اتق الله ، وأحسني  
إلى صبيك . . ! !

ثم عاد إلى مكانه . . وبعد حين عاود الصبي البكاء فهرول نحوه « عمر » ،  
ونادى أمه : قلت لك ، اتق الله أحسن إلى صبيك . .  
وعاد إلى مجلسه . يد أنه لم يكذب يستقر حتى زلله مرة أخرى بكاء الصبي  
فذهب إلى أمه وقال لها : ويحك . إني لأراك أم سوء . ما لصبيك لا يقر  
له قرار . ؟ !

قالت ، وهي لا تعرف من مخاطب : يا عبد الله قد أضجرتني .

إني أحمله على الفطام فيأبى . .

سألها عمر : ولم تحمليه على الفطام . . ؟

قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للقطيم .

قال وأعطاه ثواب : وكم له من العمر . . ؟

قالت : بضعة أشهر .

قال : ويحك . لا تعجله .





يقول صاحبه عبد الرحمن بن عوف فصلّى بنا الفجر يومئذ . وما يستن  
 الناس قراءته من علة النكاء . فلما سلم قال « يا بنو أسامة لعمر ١١ كم قبل  
 من أولاد المسلمين » . . . ١٤ !  
 ثم أمر مناديا ببادي في المدينة « لا تعجلوا صياكم عن الطعام .  
 فإنا نفرض من بيت المال لكل مولود في الإسلام » . . .  
 ثم كتب بهذا إلى جميع ولاته في الأمطار

• • •

أمير المؤمنين . تلك حيوته معاقل كسرى وقبصر . وهو هنا في الساعات  
 الأخيرة من الليل يحرس فدفلة وفدت على المدينة . ثم يورقه نكاء طفل  
 ويرلله . حتى يشرق بالدموع وهو يصلي بالناس . ثم لا يعالج واقعة الحال  
 هذه وحدها . بل يضع في التور واللحظة قانونا يستوعب كل حالاتها  
 المشامة . . .

اهتمام عجيب بمشاكل الناس . وممارسة عدة حارقة لمسنوية الحكم  
 وفي عام الرمادة يسمع عن جماعة في أقصى المدينة . قد برل بهم من  
 الضر أكثر مما برل بأهل المدينة كلها فيحمل فوق ظهره حرايين من  
 دقيق . ويحمل خادمه « أسلم » قرية مملوءة زيتا . ثم يهرولان إلى هناك  
 يحملان السجدة والموث .

وعندما يلعان القوم . يطرح أمير المؤمنين بردائه ويظهر نفسه  
 طعامهم حتى يشعوا . ثم يرسل خادمه ليعود إليه بأبل يحملهم على ظهورها  
 إلى داخل المدينة حتى يكونوا بقرب منه . وحتى ينزلوا مكانا أطيب . ويبالوا  
 رعاية أكثر . . .



الناس .. الناس .. الناس ... ! ! !

هذه الكلمة كانت المناف العلوى الذى يحمل فى روع عمر آباء الليل  
وأطراف النهار .

حتى لئراه وهو يجود بأنفاسه الطاهرة ، وجراحه النيلة الشهيدة تشخب  
دماً ، لا يشغله إلا أمر الناس ..

فيدعو بالسة الدين اختارهم . ليختاروا من بينهم الحليمة الحديد وإد  
يحضر مهم على ، عثمان ، سعد ، بوصيهم وهو لا يقوى على الكلام  
فيقول :


- يا على . إذا وليت من أمور الناس شيئاً ، فأعينك بالله أن تحمل  
بنى هاشم على رقاب الناس .. !

- يا عثمان . إذا وليت من أمور الناس شيئاً ، فأعينك بالله أن تحمل  
بنى أبي مَعِيْط على رقاب الناس .. !

- يا سعد . إذا وليت من أمور الناس شيئاً ، فأعينك بالله أن تحمل  
أقاربك على رقاب الناس .. !

وفي العام الذى لقي الله فيه ، كان على موعد مع نفسه أن يطوف بجميع  
الأمصار لينفق أحوال الناس ويبلو أخبارهم . ولقد قال يوماً لأصحابه .

ولئن عشت إن شاء الله ، لأسيرن في الرعية حولا ، فإنى أعلم أن للناس  
حوائج تقطع دوى . أما ولايتهم فلا يرضونها إلى . وأنا هم فلا يصلون إلى ..  
أسير إلى الشام فأقيم شهرين ، وبالجزيرة شهرين ، وعمصر شهرين ،  
وبالبحرين شهرين ، وبالكوفة شهرين ، وبالبصرة شهرين .. والله لنعم  
الحول هذا .. ! !

وتنقلنا مسئولية « عمر »  إليه عن الولاية والعمال الذين  
كان يكل إليهم مصاير الناس في البلاد البعيدة والقرية ..  
فكيف كان « عمر » يباشر مسئوليته تجاه ولايته ومعاونه في الحكم ؟  
كان يباشرها على طريقته .. طريقته التي لا تتغير ، والتي لا ترى  
في نماذجها مهما تكاثرت أدنى تفاوت ..

وكان يختارهم في حوص من يختار مصيره .. ! !  
إنه يعد نفسه مسئولاً عن كل غلطة يرتكبها أحد ولائه ، علم بها عمر  
أم لم يعلم ..  
ومن ثم ، فهو يقلب وجهه ، ويعمل فكره ، ويستشير ربه ، ويستشير  
صحبه ، ويستأني ثم يستأني قبل أن يختار عامله ومعاونه .. ! !  
كان يقول لأصحابه :

- « أرايتم إذا استعملت عليكم خيراً من أعلم ، ثم أمرته بالعدل  
أبى ذلك ذمى .. ؟ ؟ ..  
يقول أصحابه : نعم ..  
فيقول : « كلا .. حتى أنظر في عمله ، أصعب بما أمرته أم لا ..  
ويقول : « أيما عامل لي ظلم أحداً ، وبلغتني مظلمته فلم أعيرها .  
فأنا ظلمته .. ! !  
ويقول لمخالد بن عرفة :

- « إن نصيحتي لك وأنت عندي جالس ، كنصيحتي لمن هو بأقصى  
ثغر من ثغور المسلمين ، وذلك لما طوّقتني الله من أمرهم ، فإن رسول الله  
صلّى الله عليه وسلم قال : « من مات غافاً لم يرج راتحة الجنة » .. ! !  
إن « عمر » يريد من ولائه أن يباشروا مسئولياتهم على المستوى نفسه

الذى يباشر فيه مسئولياته .

وإذا كان ذلك عسيراً . بل مستحيلاً ، لأن « عمر » لا يتكرر ، فقد كان يبحث عن أقرب الناس مسافة من هذا المستوى . .  
وهو لهذا ، يختارهم مُعْناً في التحوط والدقة واليقظة .  
فهو أولاً يرفض كل من يسعى إلى المنصب أو يطيه لئلا  
وإنه في هذا لمقتدر برسول الله عليه الصلاة والسلام ، إذ كان يقول :  
« إيا والله لا يُؤلى هذا الأمر أحداً يسأله أو يحرص عليه »

هذه أوّل خطوات « عمر » في اختيار معاونيه . استعداد كل راغب  
في المنصب ، طامع إليه . لأن الذى يحمل شهوة الحكم يحمل شهوة  
التحكّم . والذين يطلبون أن يكونوا حكاماً وولاة . لا يقدرّون مسئولية  
الحكم تماماً ، وإلا لم يروا منه ، وزهدوا فيه . .  
دات يوم أسرّ في نفسه اختيار أحد أصحابه ليحمله والياً على أحد  
الأقاليم .

ولو صر هذا الصحابي مصعب ساعات . لا استدعاه « عمر » ليقبده  
المنصب الذى رشحه له .

ولكن أختانا بادّء الأمور التى لم يكن يعرف عنها شيئاً ، وذهب إلى  
امير المؤمنين يسأله أن يوليه إمارة . .

ويتسم « عمر » لحكمة المقادير ، ويفكر قليلاً ثم يقول لصاحبه :  
« قد كنا أردناك لذلك ، ولكن من يطلب هذا الأمر لا يُعان عبه

ولا يُجّاب إليه » . ثم صرعه وولى غيره . . ! !

سقول لأنفسنا : وإنى بأس في أن يطلب رجل لنفسه الحق في عمل

يثق من قدرته على مسئوليته ، وحفظ أمانته ؟ ؟



ألم يقل يوسف الصديق للملك : اجعلني على خرائر الأرض ، إلى  
حفيظٍ عليم ، ؟ ؟

أجل . قال يوسف الصديق هذا ، بيد أنه حين تقدم ذلك  
المنصب ، كان تماماً كهذائي بخاطر حياته . كان كجدي الإطماء  
يلقى نفسه في أعواء اللهب . وهو لا يدري . أيعود معاق . أم يتحول هناك  
إلى رماد . ١٤

صحيح أنه طالب منصب رفيع . بيد أن هذا المنصب ساعته كان  
عزماً لا عماً . وكانت مخاطره الخفنة . تفوق كثيراً مساهمة المحتملة  
كان هناك إفلاس ، ومجاعة ، وبحراب . وكل المسؤولين يهربون مما حدث  
أيديهم ، ثم يتقدم رجل لينقذ أزمة تستعصى على الإنقاذ .

هذا ليس طالب منصب . بل عاشق الخضر . وراكب الصعب ١٥ !  
على أن « عمر » . لم يكن بحاجة إلى أن يفلسف المسألة على هذا  
النسق . فالأمر لديه في غاية الوضوح . إنه يريد والياً يرتفع إلى مستوى  
المسؤولية كما يفهمها عمر . وأي واحد من هذا الطراز . سيهرب من الولاية  
بدل أن يحرص عليها أو يطلبها .

لقد هرب « عمر » مما هو أكثر من الولاية . . هرب من الخلافة إثر  
وفاة رسول الله . ولولا أن طوّفه بها ، أو مكره في لحظة لا تسمح بالتردد .  
بل ولا بالتصكير . لهرب منها أيضاً ولأثر كما قال : « أن يضرب عنقه  
ولا يرى نفسه أميراً للمؤمنين » . . . ١٦

إن كل من يطلب الإمارة إذن . يكون سيئ التقدير لتبعاتها . وعقباها ،  
ومن ثم لا يراه « عمر » جديراً بها . .

هذا أول ما يتطله من ولاته . الزهد في المنصب . والفرار منه . حتى



إذا جاءهم كرها ، أخذوه مشفقين . . . ! !  
 بعد هذا ، يختار لها « القوي الأمين » . . .  
 ولا يكاد يختار الوالى حتى يأخذ بيده ويقول له :  
 « إلى لم أستمك على دماء المسلمين ، ولا على أعراضهم . ولكنى  
 أستمكتك لتقيم فيهم الصلاة ، وتقيم بينهم ، وتحكم فيهم بالعدل ،  
 ثم يعدّ له عدداً ، التواهى التى عليه أن يتجنبها :  
 • لا تركب دابة مطهمة . . .  
 • لا تلبس ثوباً رقيقاً  
 • لا تأكل طعاماً رافهاً . . .  
 • لا تغلق بابك دون حوائج الناس . . .  
 ولكن ، لماذا يحول « عمر » بين عماله ، وهذه الطيبات المباحة - الدابة  
 المطهمة . . . والثوب الرقيق . . . واللحمة الطرية . . . ؟  
 إنه يفعل ليعيشوا دائماً فى مستوى الشعب الكادح الفقير . . . وليطلوا  
 فى مكانهم الحق ، خداماً للناس ، لا سادة لهم . . .  
 إنه لا يريد لولائِهِ أن يُفْتَنُوا ، أو يترعوا ، أو يالوا باسم الحكم أى  
 بُلْهِيَّةٍ ، أو امتياز .  
 من أجل هذا ، يتعقبهم فى كل مظاهر الزينة والعلو ، فيدودهم عنها حتى  
 لو يكون هذا المظهر دابة الركوب . . .  
 يجب أن تكون هذه الدابة للعمل ، لا للحيلاء . . . للخدمة لا للرفو  
 للصراحة ، لا للصلف ولا للترف . . . ! !  
 إنه لا يريد لولائِهِ أن يفقدوا وجاهتهم . ولكنه يريد لهم الواجهة  
 المشروعة التى لا بغي فيها ولا غرور . . .



يريد أن يتفوقوا على الناس بأناقة النفس ، لا بأناقة اللباس ، وبمحملة  
الأفعال ، لا بالمظاهر الكاذبة ، والعبارة الناطلة . . . ! ! !  
اعطروا كيف يرسم في حديق باهر ، صورة الأمير الذي يجب ،  
والحاكم الذي يؤثر . . .

ذات يوم قال لإخوانه . . . « ذكوني على رجل أكيل إليه أمراً بهني .  
قالوا : فلان . قال . لا حاجة لنا فيه . . قالوا : فمن تريد ؟  
قال : « أريد رجلاً إذا كان في القوم وليس أميراً لهم ، بدا ، وكأنه  
أميرهم . وإذا كان فيهم وهو أميرهم . بدا ، وكأنه واحد منهم . . . ! ! !  
يا لبهاء عقلك ، وذكاء روحك . . ! !  
اعطروا . .

هذا ما يريد به « عمر » تماماً - أمراء في أخلاقهم وتواضعهم . وليس  
في تلبسهم وعلوهم . .  
أمراء ، لا يمسح الناس لهم الطريق ، ولا يتخطون الرقاب . بل يمشون على  
الأرض هوناً ، ويعيشون قاعين . .  
أمراء ، يشاركون الناس ولا يتميزون عليهم بغير العمل الصالح والجهد  
الممدول . .  
ولقد تعلم هذا من خير المعلمين ، من رسول الله محمد عليه الصلاة  
والسلام .

فما كان الرسول يرى أصحابه في عمل إلا شاركهم ، أحداً أكثر حواس  
العمل مشقة . .

يجمع يوماً الحطب لأصحابه وهم سقر ، فإذا قالوا . نحن نكسح  
ذلك يا رسول الله ، قال لهم : « إني أكره أن أتميز عليكم . .

ويسمع بعض أصحابه يقولون له : « أنت سيدنا ، وأن سيدنا ،  
 فيهم قاتلا . » لا يستعويكم الشيطان .  
 ويقدم على أصحابه ، فيقول له : فيهم قاتلا . لا تقوموا كما يقوم  
 الأعاجم ، يعظم بعضهم بعضاً . . . ! !

• • •

ولا تقف مسئلية « عمر » عن ولايته عند حسن اختيارهم ، وحسن  
 توجيههم . بل تهفئ إلى إقامة كل الضمانات التي تجعل ولايتهم على الناس  
 رحمة ، ورخاء ، وأمانا .  
 وسيله لهذا . أن يجعل الحاكم تحت رقابة المحكوم . . وأن يحقق بمعه  
 وعلى الفور كل شكوى يشكوها مواطن من حاكم ، وأن يتبع في بقطعة عارمة  
 سلوك ولايته في كل الأمصار . . . ! !

في موسم الحج ، وعلى ملا من الأعداد الهائلة من حجاج المسلمين  
 القادمين من كل بلد ، جمع عماله وولايته جميعاً . ووقف خطيباً :  
 « أيها الناس ، إني والله لا أعت عمالي إليكم ، ليصربوا أبتاركم ،  
 ولا ليأحدوا أموالكم ، ولكن أبغضهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم ،  
 من فعل به سوى ذلك ، فليرمه إلي . فوالذي نفسي بيده لأمكنه من  
 القصاص . . . ! !

ويقف « عمرو بن العاص » ، الذي رأى في هذا الحضر خطراً على  
 هبة الولاة والحكامين . فيقول : « أرايت إن كان رجل من المسلمين والياً  
 على رعية فأدب بعضهم ، أتقتص منه . . . ؟ ؟

ويجب عمر : « إني والذي نفسي بيده لأفعلن ، فقد رأيت رسول الله





صلى الله عليه وسلم يُقَصُّ من نفسه ، ويقول :

« من كنت جللت له ظهراً فهذا ظهري فليقتد منه » . . . ! !

و « عمر » يعنى دائماً ما يقول ، مما كانت تلبسه شبهة عن وال حتى

يتوافر عليها فى نقطة وحزم .

يسأل وهذا رآه من أهل حمص عن واليهم « عبد الله بن قُوط » ويقولون

خير أمير يا أمير المؤمنين ، لولا أنه قد نبى لنفسه داراً فارغة

ويهمهم عمر داراً فارغة . ؟ بشامخُها على الناس ؟ يح نح

لابن قُوط . .

ثم يوفد إليه رسولا ، ويقول له : ابدأ بالدار فأحرق بها . ثم انت

به إلى .

ويسافر الرسول إلى حمص ، ويعود بوالبها فيمتنع عمر عن لقائه

ثلاثة أيام ثم فى اليوم الرابع يستقبله ويختار للقائه مكان « الحرّة » حيث

تعيش إبل الصدقة وأغنامها . .

ولا يكاد الرجل يقبل ، حتى يأمره « عمر » أن يخلع حلة . ويلبس

مكاتها لباس الرعاة ويقول له : « هذا خير مما كان يلبس أبوك . . » ثم يناوله

عصاً ، ويقول له : « وهذه خير من العصا التى كان أبوك يُشسُّ بها على

عصه » ثم يشير بيده إلى الإبل ويقول له : « اتبعها وأزعها يا عبد الله » . . !

ثم بعد حين ، يستدعيه ، ويقول له معاتباً :

« هل أرسلتك لتشيد وتبنى . ؟ ! ارجع إلى عملك ولا تعد لما

فعلت أبداً . . ! !

هذا موقفه من رجل شهد له قومه بأنه خير أمير لولا أن مير نفسه بدار

رافهة . . ! !



ألا ترون أنا أمام أسطورة . . بل لو كانت أسطورة لصعب تصديقها . .  
ولكن لحسن حظ البشرية كلها أن « عمر » لم يكن أسطورة ، بل كان  
حقيقة ملأت الزمان والمكان . وكان هدى من الله للناس يقول لهم : هكذا  
حاولوا أن تكونوا .

• • •

وفي الوقت الذي تجمع الفرس وحلفائهم ، في نهاوند . . سعد بن أبي  
وقاص يتبأ لمأزلة جيوشهم اللجبة ، تصل المدينة شكوى سعد سعد ، فيستدعيه  
« عمر » فوراً ، غير متطرق قليلاً ريثما تنتهي المعركة الموشكة على الدماء  
والاندلاع . . ذلك لأن « عمر » يرى أنه إذا كانت الشكوى صحيحة  
وصادقة ، فلن يُبقى على سعد . حتى لو خسر المسلمون المعركة كلها .  
لأن النصر كما يقول « عمر » : إنما يبطئ من كل قائد أو جيش يخرج  
البيئات . . !

وهكذا ، وفي هذا الطرف الدقيق الحرج ، يرسل « عمر » « محمد  
ابن مسلمة » إلى هناك ليفحص الشكوى فإن وجدها حقاً ، عاد بسعد  
إلى المدينة . .

ويذهب « محمد بن مسلمة » وبأحد يد سعد الفاتح الأعظم ،  
والوالى المهيب ، ويطوف به على الناس يسألهم الرأي فيه . . فقوم يقولون  
عنه خيراً . . وآخرون يُحصرون عليه بعض مآخذهم . . وأخيراً ، بصطحبه  
ابن مسلمة إلى المدينة .

وبما لعرف نأه مع حاكم مصر وفاتحها ، « عمرو بن العاص »  
حين وفد عليه من مصر ، قتي مكروب يقول : يا أمير المؤمنين هذا مقام



العائد بك . .

ويستوصحه النبأ فيعلم منه أن « محمد بن عمرو بن العاص » قد أوجعه ضرباً ، لأنه ساقه فسبكه ، فعلا ظهره بالسوط وهو يقول : خذها ، وأنا ابن الأكرمين . . ! !

ويُرسل أمير المؤمنين يدعو عمرو بن العاص وابنه محمداً ولدع « أنس بن مالك » يروى لنا النبأ كما شهده ورآه : يقول . . « هو الله إنا لجلوسُ عند عمر ، وإذا عمرو بن العاص يقل في إزار ورداء ، فجعل عمر يتلفت باحثاً عن ابنه محمد ، فإذا هو حلف أبيه .

فقال : أين المصري . . ؟

قال : ها أنا يا أمير المؤمنين .

قال عمر : خذ الدرة ، واضرب بها ابن الأكرمين . .

« ضربه حتى أثحتته ونحن نشئ أن يضربه ، فلم يترع حتى أحيينا أن

يترع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اصرب ابن الأكرمين ! !

ثم قال عمر للمصري : « أجلبها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك

إلا بفضل سلطانه . . ! ! !

قال الرجل : يا أمير المؤمنين ، قد استوفيت ، واشتفيت ، وضربت

من ضربتي . .

قال عمر : أما والله لو ضربته ما حلنا بك وبه حتى تكون أمت

الذي تدعه .

ثم التفت إلى عمرو وقال : « يا عمرو ، متى تعددتُ الناس وقد ولدتهم

أمهاتهم أحراراً . . ! ! ؟



والتفت إلى المصري وقال له . « اصرف راشداً ، فإن رايك ريب  
فاكتب إلى ... ! »

هذا هو عمرو بن العاص ، صحابي من شيوخ الصحابة ، وحاكم  
إقليم من أكبر أقاليم الفتح الإسلامي . ولا يسجو ولده من العقوبة ، بل  
وتكاد العقوبة تدرك عمرو بن العاص معه لولا عفو صاحب الحق .

...

على أن هذه المواقف الصارمة الحارمة التي يقعها « عمر » من ولاته  
الذين قد يسيئون استعمال سلطاتهم هذه المواقف تتحول إلى مشاهد  
أخرى يدور فيها « عمر » حاناً وعطفاً حين يحقق مع أحد الولاة ، فينتهي  
بريثاً .

دات يوم تلقى شكاة ضد وال له . هو « سعيد بن عامر الجُمَحِي »  
تنصمن ثلاثة مآخذ :

أولها : أنه لا يخرج إلى الناس حتى يتعالى النهار .  
ثانيها : أنه لا يجيب أحداً بليل .

ثالثها : يعيب عن الناس كل شهر يوماً ، فلا يرى أحداً ولا يراه أحد  
واستدعاه « عمر » ، وواجهه بالشاكين ، وقال لهم نكلموا :

قالوا : لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار

وسطر أمير المؤمنين صوت سعيد وسأله أن يجيب

فقال : والله يا أمير المؤمنين . إن كنت لأكره ذكر السب ليس  
لأهل خدام ، فإن أعرض عنهم عجبني . ثم أجلس حتى يختم . ثم أحضر  
خبري . ثم أتوضأ وأخرج إليهم ..



وأشرفت أسارىر « عمر » ، فقد بدا أنه لن يُساء في رجل وثق في ديه ،  
واحتراره بنفسه .

ثم قال للشاكين : « ذا أيضاً ... ؟ »

قالوا : لا يحب أحدٌ بليل .

قال سعيد : والله ، لن كنت لأكره ذكره ، ، إني جعلت النهار لهم ،  
وجعلت الليل لله عز وجل .

قال عمر : وماذا أيضاً تشكون منه . ؟

قالوا : إن له في الشهر يوماً لا يقابل فيه أحداً . .

وقال سعيد : ليس لي خادم يعمل ثيابي ، ففى هذا اليوم أعلها ،  
وأنظرها حتى تجف ، ثم أخرج إليهم آجر النهار . .

قال عمر وقد عمره الحبور والبشر الحمد لله الذى لم يُحب  
براستي . . !

إن سعادته تكون عامرة . حين يحب شكوى ، وتظهر براءة لأنه  
يريد أن يرى ولاته كلهم ، بل والناس جميعاً متفوقين على الصعف ، مبرزين  
من العيب . .

أرسل « عمير بن سعد » والياً على حمص ، فمكث هناك عاماً لا يرسل  
خارجها . ولا تصل منه أية أنباء ، فقال « عمر » لكتابه :

- « اكتب إلى عمير ، فأني أخاف أن يكون خاننا . . . وأرسل  
إليه يستدعيه .

ودامت يوم شهدت شوارع المدينة رجلاً أشعث أعبر : تَغْشَاهُ وَعْثَاءُ  
السهر . يكاد يفتلح قلبه من الأرض اقتلاعاً من طول ما لاقى من عناء ،  
وبدل من جهد . على كتفه البعير حراب وقصعه . وعلى كتفه اليسرى



قربة صغيرة فيها ماء . . وإنه ليتوكأ على عصاً لا يؤودها حملة الضامر  
الوَهْتان . .

ودكف إلى مجلس « عمر » في خطوات متباعدة . .

- « السلام عليك يا أمير المؤمنين » . .

ويرد « عمر » السلام ، ثم يسأله وقد آله ما رآه عليه من جهد وإعياء

- ما شأنك يا عمير ؟؟

- شأني ما ترى . ألت تراني صحيح البدن ، طاهر الدم ، معي

الدنيا أجراها بقرنها . ؟ !

قال عمر : وما معك . . ؟

قال عمر : معي جرابي أحمل فيه زادي ، وقصعتي آكل فيها ، وإداوتي ،

أحمل فيها وضوئي وشرابي ، وعصاي أتوكأ عليها . وأجاهد بها عدواً إن عرض ،

هو الله ما الدنيا إلا تبع للمتاعى . .

قال عمر : أجبث ماشياً . . ؟؟

- نعم .

أو لم نجد من يتبرع لك بدابة تركيها . . ؟؟

- إنهم لم يفعلوا ، وإني لم أسألم . . !

- فمادا عملت فيها عهدنا إليك به ؟؟

- أتيت البلد الذي بعثني إليه ، فجمعت صلحاء أهله ، ووليتهم

جاية هيتهم وأمواهم . حتى إذا جمعوها وضعوها في مواضعها ، ولو بقي لك

منها شيء لأتيتك به . .

- فما جئتنا بشيء . . ؟



- لا . .

قال « عمر » وهو منير سعيد : « جئدوا لعمر عهداً . . »  
قال عمر : « تلك أيام قد خلت ، لا عملتُ لك ولا لأحد بعدك ! ! »

. . .

والويل الشديد للوالى الذى يفكر فى أن يهدى لعمر هدية ما . .  
والحق أنهم جميعاً كانوا من الفطنة بحيث لم يتورطوا قط فى أمر  
كهذا . . ! !

ولم يفعله منهم مرة واحدة سوى الرجل الصالح الطيب « أبى موسى  
الأشعرى » . .

ف ذات يوم عاد أمير المؤمنين إلى داره ، فوجد رقعة من سجاد لا تزيد  
على متر ، وبعض متر ، فسأل زوجه « عاتكة » . .  
- « ألى لك هذه . . ؟ ؟ »

قالت : أهداها إلينا أبو موسى الأشعرى .

- « أبو موسى . . ؟ ؟ ابتولى به . . ! ! »

ويجىء أبو موسى ، تسبقه محاوفه ، ولا يكاد يقترب من « عمر » ويلمح  
« السجادة » فى يمينه ، « والتحفر » فى وجهه حتى يبادره القول « لا تعجلْ  
على يا أمير المؤمنين » . .

ولكن أمير المؤمنين ، يُعاجله ، ويلفح بالسجادة رأسه ويقول له .

ما يحملك على أن تهدى إلينا ؟ حدها فلا حاجة لنا فيها . . ! !

والويل كذلك لمن يطمع فى أن يتسوّر مسئوليات هذا الرجل الكبير  
شعاعاً يشعها فى غير حق . .



حدث يوماً أن أُرل بأحد ولاته جراً ، فانتهرت زوجته « عائكة » ساعة من ساعات فراغه وهدوئه ، وشغمت للرجل . ولم ترد على أن قالت يا أمير المؤمنين ، قيمَ وجَدْتَ عليه . . ؟

هالك انتفض « عمر » : كأنما اهتز من دين الله ركن ، وصاح فيها - « يا عدوة الله ، وقيم أنت وهذا » . . . ؟ !

لو كان هذا الموقف من زوجته مشورة ورأياً ، لتقل المشورة ، وبحث الرأي ، فسراه بعد حين ينحى في إعجاب وخشوع لسيدة عارضت رأيه في تحديد المهور . .

أما هنا ، فقد تصور « عمر » الموقف على أنه تدخل في المسئولية من غير مسئول ، ولون من الشفاعة أو الوساطة لا يسكت « عمر » عليه ، ولا يتسامح معه .

هذه مسئوليته تجاه ولاته . .

فلننظر مسئوليته تجاه أموال الأمة . وإنها مسئولية تحير العقول وتبهر الألسنة .

ولنبداً بهذا النبا .

يقول عبد الله بن عامر بن ربيعة :

« . . صحبت عمر بن الخطاب من المدينة إلى مكة في الحج ، ثم رجعا ، فما ضرب له فسطاط ، ولا خباء ، ولا كان له بناء يستظل به . إنما يلتقي كساء على شجرة فيستظل تحته » . . . ! !

ويقول بشار بن نمير :

« . . سألى عمر : كم أنفقنا في حجتنا هذه ؟ قلت : خمسة عشر ديناراً . . فقال : لقد أسرفنا في هذا المال » . . . ! !





أرأيتم إلى الرجل الذى وَضِعَتْ تحت عتة خرائته أموال كسرى وقيصر ،  
ثم يهرج إلى الحج وسط صحراء ملتهمة ، فلا يهين لنفسه من ضرورات  
الرحلة شيئاً . . . ؟ ١ يدوق وَهْدَةَ الحر ، وقيظ الحبال المستعيرة . مثلما  
تدوقه كافة الناس ، ويفرق خلال رحلته كلها حمسة عشر ديناراً . ثم يقول  
لقد أسرفنا . . ؟ ١

قل أن يلى أمور المؤمنين وبصير أميرهم ، كان تاحراً يكسب عيشه  
وررق أهله وعباله من التجارة ، فلما تفرغ لمهنته الحديدية ، فرض لنفسه  
من بيت المال ما يعيش به هو وعائلته فى مستوى الكفاف . .  
وكان مع الأيام تزداد تبعاته ، وتزداد احتياجاته ونفقاته ، ويرفع كلما هب  
الرخاء رواتب جميع المسلمين فى المدينة وحارجها . لكنه لا يفكر فى أن  
يزيد نفسه درهماً . . حتى سمع أصحابه يوماً أن أمير المؤمنين يقترض ليعيش ،  
فاجتمع نفر من الصحابة معهم عثمان ، وعلى وطلحة ، والزبير ، واتفقوا  
على أن يتحدثوا معه ، ويطلبوا إليه أن يريد فى راتبه ، ومحضصاته ، لكنهم  
عادوا ونهتوا محادثته ، لأنهم يعرفون أنه فى هذه المسألة بالذات شديد  
الوطأة ، لافح الغضب .

قال عثمان : فلسترى ما عنده من وراء وراء . . وانجهوا إلى حصبة  
بست عمر ، واستكتموها أمرهم ، وطلبوا إليها أن تستطلع أمر أيها .  
ودهمت حصبة إلى عمر منهية ، وأخذت تسوق الحديث محدرة  
ورقق .

فقال عمر : من معك إلى بهذا . . ؟

قالت : لا أحد . .

قال : بل معك بهذا قوم ، لو عرفتهم لحاسبتهم . .



ثم قال لابنته : لقد كنت زوجة لرسول الله فماذا كان يفتي في بيتك  
من المجلس . . . ؟

قالت : ثوبين اثنين . . . !

قال : فما أطيب طعمة وأبنتيه يأكلها . . ؟

قالت : خبر شعير طرى مَرُود بالسمن . .

قال : فما أوطأ فراش كان له في بيتك . . ؟

قالت : كساء مُخَن . كما نبطه في الصيف ، فإذا كان الشتاء بسطنا

نصفه . . وتدفئنا بنصفه . . ! !

قال يا حفصة : « فأنبئني الدين أرسلوك إلى . أن مثلي ومثل صاحبي »

- الرسول وأبي بكر - كئلاثة سلكوا طريقاً . فمضى الأول وقد تزود فلح

المتزل . ثم اتبعه الآخر ، فلك طريقه فأفضى إليه . . ثم الثالث ،

فإن لزم طريقهما ورضى برادهما ألحق بهما . . وإن سلك غير طريقهما

لم يجتمع بهما . . ! ! !

أهناك كلام يصلح أن يكون تعليقاً على هذا المشهد القذ المعجيب . . ؟ !

كلا . . فلندعه بدون تعليق . . ! ! !

. . .

وكانت القيامة تقوم إذا سمع « عمر » أن درهماً واحداً من الأموال العامة

قد اختلس ، أو انتهب ، أو أنفق في ترف أو إسراف . .

كان يرتجف . ويرجف ، كأن حرائن المال كلها قد ضاعت ، وليس

درهماً أو بعض درهم . . ! !

وكان يُقسم لو أن نعيراً من إبل الصلقة ضاعت على ضعاف دحلة



أو الفرات ، وعمر بالمدينة ، لخاف أن يسأله الله عنه . . ! !

وفي يوم صائف قانظ يكاد حره يذيب الخيال ، أطل « عثمان بن عفان » من ساية له بالعالية ، فرأى رجلاً يسوق أمامه بعيرين صغيرين والهواء الساحر ينشاه كلفح السموم . .

فقال محدثاً نفسه . ما على هذا الرجل لو أقام بالمدينة حتى يُرد ؟ وأمر خادمه أن ينظر من هذا الرجل العابر من بعيد ، والذي تحفى الروبعة والرمال السافيات معالمه . .

ونظر الخادم من فرجة الباب ، فقال : أرى رجلاً معتماً بردائه يسوق بكترين أمامه . وانتظر حتى اقترب الرجل ، فعرفه الخادم وصاح : إنه عمر . . إنه أمير المؤمنين . . ! !

فأحرج عثمان رأسه من كوة صغيرة متوقفاً سخونة الريح . ونادى : - ما أخرجك هذه الساعة يا أمير المؤمنين ؟

أجاب عمر . بكرا من إبل الصدقة ، تحملنا عن الحمى - المرعى - وحشيت أن يضربا ، فيسألني الله عنهما . . ! !

قال عثمان . هلم إلى الظل والماء ، ونحن يكفبك هذا الأمر

فقال له عمر : عد إلى ظلك يا عثمان . .

قال : هندنا من يكفبك هذا الأمر يا أمير المؤمنين . .

قال مرة أخرى . عد إلى ظلك يا عثمان . ومضى لسبيله والبحر يصهر

الصحرا . .

فقال عثمان مأحوداً وسهوراً . من أراد أن ينظر إلى القوى الأمين ،

فليظر إلى عمر . . ! ! !

والقوى الأمين مباشر مسئولياته المالية . مباشرة ذكية عميقة فهو لا يُعنى



بالسهر على حفظ أموال الأمة فحسب ، بل ويُعَيَّ بالعمل على تسميتها .  
وإرباء الدخل القومي بكل سبيل ممكنة ..

• فهو - مثلاً - يقاوم فكرة توزيع أرض السواد على العاتحين لأن ذلك يخلق طبقة محتكرة ، وفي الوقت نفسه ، عاجزة عن خدمة الأرض ، غير حاضرة بزراعتها . ويترك الأرض تحت أيدي زارعها ، مكتفياً بالصرائب التي تدفع لبيت المال ، ثم ينال كل مسلم حظه منها ..

• وهو يشجع على إحياء الأرض الموات التي لأصاحب لها ، والتي قال فيها الرسول عليه السلام « من أحيا أرضاً ميتة فهي له » ..

وحيث يرى أمير المؤمنين أناساً يضعون أيديهم على هذه الأرض ، ويُسَوِّرونها ، ثم يهملون استصلاحها ورراعتها ، يس قانوناً يسمح « واصع اليد » فرصة مداها ثلاث سنوات فإذا عجز خلالها عن إحياء الأرض وتحويلها إلى حقل ، أو بستان ، أو مرعى ، نُحِّى عنها ، وأعطيت لغيره من القادرين ..

• وهو كذلك يحرص المسلمين على الكسب المشروع ، فيعريهم بالتجارة الشريفة الطيبة . قائلاً لهم : عداً سيكون لكم أناء وحفدة ، مماذا يعنى عنكم هذا الذي بأيديكم .. ١٩

• وهو يعنى عناية خاصة بالثروة الحيوانية ، فيخصص للماشية مرعى حصيلاً رحيباً ، يرعى المسلمون فيه ماشيتهم بغير مقابل ، وإياه ليتعهد هذا المرعى دائماً ، وقلما كان يوم يمر دون أن يرى الناس « عمر » ، قد حرح منتصف النهار . واصحاً ثوبه فوق رأسه ليقيه من الشمس ، قاصداً أرض الحمى والمرعى ، يتعاهدها ويتعقدها ، ويحذر حارسها من أن يسمح لأحد



أن يعقيد شيئاً من شجرها ، أو أن يضرب فيها بفأس . . !

. . .

ولا يخطر بالبال ونحن نتحدث عن المال وعن الدخل القومي أيام عمر ،  
أما نتحدث عن أموال شحيحة وموارد ضئيلة ، فإن « عمر » لم يمت إلا بعد  
أن كان يحرك يده القوية الأمانة في دخل من أضخم الدخول يومئذ بعد  
أن آلت إلى الإسلام معظم ممتلكات الروم والفرس . . !  
ولم يمت « عمر » حتى كان هناك لكل فرد راتب سوى يكفيه أو  
يقارب كفايته ، لا في عاصمة الدولة وحدها ، وهي المدينة ، بل في كل  
أقطار الإسلام . . ! ! !

يقول له خالد بن عرصة :

- « يا أمير المؤمنين تركتُ الناس يسألون الله أن يريدي في عمرك من  
أعمارهم . . ما وُلِّيَ أحدُ القادسية إلا وعطاؤه ألفان ، أو خمس عشرة مائة  
وما من مولود يولد إلا ألحق في مائة وجريين كل شهر ذكراً كان أو أنثى  
وما يبلغ لنا ولد إلا ألحق على خمسمائة أو ستمائة . . ! !  
وجرّص عمر على تنمية الثروة ، لم يحمله قط على سلوك سبيل فيها  
جشع أو إرهاب .

فالثروة عند عمر ، في خدمة الإنسان ، وليس الإنسان في خدمة

الثروة . . ! !

لهذا ، كان يُنزل عضه الشديد على كل وال يحرم أهل ولايته لكي  
يرجع إلى المدينة حراجاً كبيراً بظن أنه يكسبه رضاء أمير المؤمنين . .  
وكان يأمر أن تقسم خيرات البلد - أي بلد - على أهلها أولاً ، فإذا



بلغوا كفايتهم . رفع إلى عاصمة الدولة نصيبها . .  
 وكان يأمر عماله أن يتقاصروا الضرائب في رفق وعدل ورحمة .  
 حُمل إليه يوماً مال وهير من أحد الأقاليم ، فسأل عن مصدره وعن سر  
 وفرته وكثرته ، فلما علم أنه من ضريبة الزكاة التي يدفعها المسلمون ،  
 وصرية الجزية التي يدفعها أهل الكتاب ، قال وهو ينظر إليها كثيرة  
 عارمة .

- إني لأظنكم قد أهلكم الناس . .  
 - قالوا : لا والله ، ما أخذنا إلا صَفْوَ عَفْوَ . . .  
 قال : بلا سوط ، ولا نوط . . ٢٢

قالوا : نعم . .  
 قال ووجهه يتهلل ويشرق : الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على ولا  
 في سلطان . . !  
 وكان يُعنى من ضريبة أهل الكتاب ، كل من عليه دين يستغرق ماله .  
 ذلك لأنها لم تكن ضريبة إدلال ، بل ضريبة دخل ، فبدأ عجز عنها دافعها ،  
 وضمت عنه فوراً . . !  
 وبعد . فهذا هو « عمر » ، الحاكم المشول . . وهذه هي طريقته  
 في تحمل مشلياته جميعها .  
 هذا هو الرجل الذي كانت جيوشه تُدبّل مظالم الروم والفرس وتدكُّها  
 دكًّا ، بينما هو يسير في طرقات المدينة لاسأ ثوباً به إحدى وعشرون  
 رقعة . ويبطئ عن المسلمين يوماً في صلاة الجمعة ثم يعتذر إليهم حين  
 يصعد المنبر قائلاً :

- « حبّسني قميصي هذا ، لم يكن لي قميص غيره » . . ٢٢٢

إن مسئولياته الماركة دفعت به إلى نهايات الطرق ، وقم المثل : فجاءت  
تصرفاته كلها تمثل أقصى ما يستطيع الكمال الإنساني أن يبلغه .  
• فتجاه مسئوليته عن نفسه وأهله ، يُحملهم كل معارم الحكم  
ويحرمهم من كل معامه .. !!  
• ونجاه ، ولأته ومعاونيه ، يختارهم بنفسه . ويلزمهم صراطاً مستقيماً  
أخذ من الشفرة ، وأرق من الشعرة . !!  
• ونجاه أموال الأمة ، يبلغ أقصى درجات الحفاظ عليها . والرهـد  
فيها . !!

• ونجاه الجبابرة العتاة ، يبلغ أقصى أسباب الشدة والحزم . !!  
• ونجاه الضعفاء والبسطاء يبلغ غاية المدى في الحذب واللين . !!  
إن مسئوليته تقوده . وإبه ليأشهرها بروح المحب العائد الأبواب  
وإن عظمة سلوكه ، كرجل مسئول . لا تمثل في المعاملة التي سردناها  
إلا كما يمثل ضوء الشمس في الشعاع المتسلسلة من حبابا البافدة . . . !!  
ألا وإن عمر الحاكم ، لينعب كل حكام التاريخ ، ويجعل مسئوليتهم  
قادرة وكبيرة

ذلك أنه لم يكن إلهاً ولا ملكاً ، ولا رسولاً يوحى إليه . إنما كان فرداً  
من الناس يحتد رأيه ، ويهـص بعزمه . ولقد استطاع أن يبلغ ذلك الشأو  
البعيد في عدله ، وفي رحمته ، وفي أمانته . فما عذر الآخرين إذا قعدت  
هم عرائسهم ؟ !

إن « عمر » الحاكم ، حجة الله على كل حاكم . .  
فإذا قال حاكم ما ، ساعة حسابه : يا رب عجزت . .  
قال الله له : ولماذا لم يعجز عمر . . ؟ ؟ ؟



## الفصل الرابع

ولاخير فينا إذا لم تسمعها





لم يكن أمير المؤمنين يحمل مسئولية حُملان رجل مفتون بشوعه صلب  
بمكانه ، مُستعلٍ بِسُلْطانه .

بل كان يحملها بصمير الأمين على العهد . الباحث عن الحق ،  
المستنهض وجود الآخرين وتمكبرهم ليأخذوا مكانهم معه . ويُضجوا  
بآرائهم رأيه ، ويُعاونوا برُشدهم رُشده . .

ولقد اقتضاه هذا ، أن يُقدّس الشورى ، ويحنى رأسه العالى فى خشوع  
وتهلل لكل معارضة شجاعة صادقة . .

فإذا سهر جلال المسئولية عند « عمر » ، وسُموقها الصاعد فى السماء ،  
فلتضع أعيننا على القاعدة التى استقر فوقها هذا البناء العملاق . - ألا وهى  
الشورى والمعارضة .

وبإيه لأمر عجيب حقاً أن يرفع لواء الرأى والمعارضة إلى المدى البعيد  
الذى سنراه ، رجل يؤمن بالنصوص إيماناً مطلقاً . . . رجل يخاف أن  
يصر الآية من القرآن ، خشية أن يُحملها من رأيه مالا تحمّل

رجل لا يبيع نفسه أن ينحرف قيد أنملة عن المسبب الموضوع ، والخطبة  
 المرسومة ، وبعبارة واحدة : رجل طاعة ، وإيمان ، ومتابعة . . . ! ! !  
 ولكن العجب ، أن نرى في هذه الظاهرة أي عجب . .  
 فالدين يعرفون « محمداً » ودين محمد معرفة سوية عاقلة ، يعرفون  
 أن احترام النفس ، لا يعنى إهدار الرأي . وأن الطاعة المؤتمنة ، لا تنفصل  
 عن المعارضة الأمينة .  
 ثم إن « عمر » لم يكن بطبيعت رجل مُسَايِرَة . صحيح أنه رجل إيمان  
 وطاعة كما ذكرنا . .

ولكنها الطاعة والإيمان والمتابعة التي يعرضها الاقتناع الوثيق  
 وهو قد اقتنع بالرسول وآمن به . . ومن ثم فهو يقفواثره في غير تردد أو  
 التفتات . .

وبه ليناقدش الأمور التي تحتاج إلى مناقشة . . . ويُسلم تسليماً لفضايا  
 لا يفهم - أحياناً - حكمتها ، ولكنه مقتنع سلفاً بالرسول الأمين الذي  
 جاء بها . .

يُقَلُّ الحجر الأسود في الكعبة ، ثم يقول كأنه يحاطبه :  
 - « إنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ووالله لولا ألقى رأيت رسول الله  
 يقبلك ما قبلتك » . . . ! !

ويُهرول كاشفاً عن منكبيه ، ويقول :  
 - « هم هذا الرَّمْلان ، - المرولة - والكشف عن الماكب ،  
 وقد أظهر الله الإسلام وبني الكفر ؟ ومع هذا لا بدع شيئاً كنا نفعله في عهد  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم » .  
 بل إنه ليعمد إلى ميزاب في دار العباس فيقتلعه من مكانه إذ كان

ماء المطر يسيل منه إلى فناء المسجد . ولكن لا يكاد العباس يجبره أن الرسول هو الذي وضع هذا الميراب مكانه ، حتى يسارع « عمر » ، هيجي « بالميراب » . ويقسم على العباس ليقتن فوق مكبيه - مكى عمر - ويبعد الميراب إلى حيث وضعت يد الرسول من قبل . . ! !

وبه يُسأل عن تفسير الآية الكريمة : « والذاريات ذروا » والحاملات وقرأ « يقول » الذاريات ذروا ، هي الريح . . . ولولا أني سمعت رسول الله يقول ما قلته ، والحاملات وقرأ . هي السحب . ولولا أني سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول ما قلته . . ! !

إلى هذا الحد كان « عمر » وفقاً عند النصوص والتعاليم ، ملتزماً بالناسي والقدوة .

ومع هذا ، فقد آسن بالشورى إيماناً مماثلاً لإيمانه بالنص والقدوة - والشورى رأى ومعارضة . .

ولست أعرف شيئاً يرفع من قدر الشورى في كل عصور التاريخ كما يرفع من قدرها إيمان « عمر » بها . وأسئله في تطبيقها . إن تطور الحياة السياسية في المدينة لم يكن يومئذ قد أُدِن للمؤسسات الديمقراطية أن تظهر ، من « برلمان » وغيره . .

ومع هذا فقد ظهرت الديمقراطية من ذلك الرجل ، وفي تلك البيئة وذلك العهد . بخير حرص التائق والازدهار .

لم يحاول عمر قط أن يفرض رأيه ، أو أن يحمل مشيئته ، ولم يتعذر ساعة من نهار يحكم الناس دون أن يشركهم معه في مشيئة هذا الحكم مشاركة فعالة صادقة . .

والرائع الهاهر فيه ، أنه لم يكن يفعل ذلك تواضعاً أو تفصلاً . بل

سحبة ، وفطرة ، وواجباً .

إذا كانت القصيدة التي يريد عمر أن يعصل فيها ، لها في كتاب الله بيان أجز ، عمر « كلمة الله . .

وإذا كانت من المشاكل الطارئة والقضايا الجديدة التي ليس لها في الكتاب تفصيل ، لم يعتسف « عمر » ولم يتكلف ، ولم يضع الآية الكريمة :  
« ما فرطنا في الكتاب من شيء » في غير موضعها .

بل يعتمد من فوره إلى الرأي والشورى وتقليب وجوه النظر . .  
والرأي عنده ، ليس التماساً للموافقة ، بل التماساً للحقيقة ولعلالما كان  
يقول للناس :

- « لا تقولوا الرأي الذي تظنونه يوافق هواي . وقولوا الرأي الذي  
نحسونه يوافق الحق » . .

ولنطالع هذا المشهد من مشاهد شوره :

حين حرر المسلمون بلاد العراق من حكم الفرس ، ودخل أكثر  
أهلها في دين الله ، رأى « عمر » ألا يقسم أرضها الزراعية بين المجاهدين ،  
وأن تظل كما هي بأبدى أصحابها ، ثم ترد الصرائب المأخوذة عليها إلى  
بيت المال ، فتقسم بين الناس جميعاً كل منهم ونصيبه المعروف

وكان يرى أن تقسم الأرض بين المجاهدين ، سيقعد بهم عن الجهاد  
أولاً . وينقص علة الأرض لصعب حيرة المجاهدين بالزراعة ثانياً ، ويحرق  
في الإسلام طبقة من الإقطاعيين والمحتكرين ثالثاً ، كما أنه سيدفع الآخرين  
الذين لم يملكوا . ضائعين ، ويحرم الأحيال الواعدة من حقها وورقها .  
وعارض رأيه هذا نفر من الصحابة .

وكانوا كلما علا صوتهم ، واحتدّت معارضتهم ، قال « عمر » لي هذوه



« إنما أقول رأيت الذي رأيته » . . .

وانقض الجمع من غير اتفاق على كلمة . . .

وفي اجتماع آخر ، وكان « عمر » قد دعا فريقاً من الأنصار المشهود لهم بالحكمة ووضوح التجربة . ففتح باب المناقشة ، وحشي « عمر » أن يحامله أحد في رأيه بوصفه أمير المؤمنين . فبدأ الحديث قائلاً :  
« إني دعوتكم لتشاركوني أمانة ما حملت من أموركم ، فإن واحد كأحدكم ، وأنتم اليوم تقررون بالحق . خالفني من حالتي ، ووافقني من وفاقتي . ولست أريد أن تتعوا هواي ، فمعكم من الله كتاب ينطق بالحق . فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده ، فما أريد به إلا الحق » .

• • •

والشورى ، والمعارضة عند أمير المؤمنين ، هما جناحا الحكم الصالح القويم ، وهما ريتا كل حكم سليم .  
مر أجل هذا ، لا يكاد يلي الأمر ، ويتسمع همس الناس حول شدته وصرامته حتى يحلو بنفسه مفكراً ، ويدخل عليه « حذيفة » فيجده مهجوم النفس باكي العين . فيسأله : ماذا يا أمير المؤمنين ؟ ؟  
فيجيب عمر : إني أخاف أن أحظى فلا يردني أحد منكم تعظيماً لي .  
يقول حذيفة ، فقلت له :

« والله لو رأيته خرحت عن الحق . لرددناك إليه » .

فصرح « عمر » ، ويستبشر ويقول :

« الحمد لله الذي جعل لي أصحاباً يقوموني إذا أعوججت » .

إن أعظم مظاهر التكريم للمعارضة ، براها في مواقف هذا العاهل

العقد منها . . في ولائه الوثيق لها ، وتوفير كل فرص الطمأنينة والأمن بل  
الإكبار لدورها . .

يصعد المنبر يوماً فيقول :

« يا معشر المسلمين ، ماذا تقولون لو ملئت برأسي إلى الدنيا هكذا . . ؟ ؟  
فيشق الصفوف رجل ويقول وهو يلوح بدراعه كأنها حُسام ممشوق  
« إذن نقول بالسيف هكذا . .

فيسأله عمر : أيّاي تعني بقولك . . ؟ ؟

فيجيب الرجل : نعم إياك أعني بقول . . !

فتضئ الفرحة وجه « عمر » ويقول :

« رحمك الله . . . والحمد لله الذي جعل فيكم من يقوم عرجى . . . !  
لم يكن هذا الموقف من أمير المؤمنين موقفاً استعراضياً ، صعر أكثر قوة  
وأمانة ، من أن يلجأ لمثل هذه المواقف ، إنما كان سلوكاً صادقاً ، وبهجاً  
تلقائياً مخلصاً ، ينشد « عمر » من ورائه الوصول إلى الحق والطمأنينة  
إلى أنه يحكم أمة من الأسود ، لا قطعاً من النعاج . . . ! !

إن « عمر » حريص على أن يمكن الناس - جميع الناس - من حقهم  
في ممارسة الأمر معه وأخذ مكانهم إلى جانبه .

ولو أنه بطش بالمعارضة ، ولو مرة ، إذن لباعت الشورى في عهده  
بجِدْلان كبير ، لكنه فعل نقيض هذا تماماً . أقضى عنه أهل المُجاملة  
والمُداهنة ، ورفع مكاناً عالياً أولئك الذين يناقشون ، ويعارضون . ويقولون  
إلى أين . . ؟ ولماذا . ؟

وكان فرحه بكلمة حريثة مُجِئة يُجابه بها ، أو يُجابه بها أحد من ولاته  
تفوق كل فرح آخر على وجه الأرض . .



دات يوم يصعد المنبر ، ليحدث المسلمين في أمر جليل ، فيبدأ  
خطبته بعد حمد الله - بقوله « اسمعوا برحمكم الله » .  
ولكن أحد المسلمين ينهض قائماً ، فيقول :  
والله لا نسمع . . ، والله لا نسمع . . ! !  
فيأله « عمر » في لهفة . ولم يا سلمان . . ؟ !  
فيجيب « سلمان » . ميزت نفسك علينا في الدنيا . أعطيت كلاً منا  
بردة واحدة ، وأخذت أنت بُردتين . . ! !  
فُجِبل الخليفة بصره في صفوف الناس ثم يقول :  
- أين عبد الله بن عمر . . ؟  
فينهض ابنه عبد الله : ها أنا يا أمير المؤمنين . .  
فيأله عمر على الملأ : مَنْ صاحب البردة الثانية . . ؟  
فيجيب عبد الله : أنا يا أمير المؤمنين . .  
ويخاطب « عمر » سلمان والناس معه فيقول :  
- إني كما تعلمون رجلاً طوالاً ، ولقد جاءت بردتي قصيرة ، فأعطاني  
عبد الله بردته ، فأطّلت بها بردتي . .  
فيقول سلمان وفي عينيه دموع الغبطة والثقة :  
- الحمد لله . . والآن قل نسمع ونطع يا أمير المؤمنين ! ! . .  
أبلغ الناس من حرية المعارضة أن يُحددوا للحاكم عدد أثوابه وملابسه ،  
وبهذه اللهجة الصارمة . . ؟ !  
ألا مَنْ كان يعرف لهذا نظيراً في التاريخ كله ، فليأتنا به . . ! !

في يوم آخر ، وهو جالس مع إخوانه ، يحترم الصفوف رجل ناثر ،  
ملء قصته شعر مخلوق ، ولا يكاد يبلغ « عمر » حتى يقذف بالشعر في  
صدره في مرارة واحتجاج ..

ويموح الناس بالعصب ، ويهيم به بعضهم ، فيومئ إليهم « عمر »  
ثم يجمع الشعر بيده . ويشير للرجل ، فيجلس ، ويتنظر عليه « عمر »  
حتى يهدأ روعه ، ثم يقول له :  
- والآن ، ما أمرك .. ؟ ؟

فيجيب الرجل وقد عادت إليه ثورته :

- أما والله ، لولا النار يا عمر .. ! !

فيقول عمر : صدقت والله .. لولا النار . ! ! ما أمرك يا أخا العرب . ؟  
ويقص الرجل شكاته ، وفحواها أن « أبا موسى الأشعري » أرسل به  
عقوبة لا يستحقها . فجلبده وخلق شعر رأسه بالموسى ، فجمع الرجل  
شعر رأسه وجاء به إلى « عمر » ..

فينظر عمر إلى وجه أصحابه ويقول :

- لأن يكون الناس كلهم في قوة هذا ، أحب إلى من جميع ما أراه

الله علينا .. ! !

ثم يكتب لأبي موسى يأمره أن يُمكن الرجل من القصاص منه -

حُلداً مجلداً وخلقاً يخلق .. ! ! !

هذا حاكم يهتر فرحاً لكل احتجاج قوى ، أو معارضة شجاعة -

وإن رجلاً واحداً بطال محقه في غير حذر ، ويقول كلمته في غير حين  
لأحب إليه كما قال ، من كل ما فتح له من الأرض ، ومن كل ما ورث

عن كسرى وقبصر .. ! !





كان « عمر » واثقاً بنفسه . واستقامة نهجه ، ومن ثم لم يكن يُحادر  
القد أو يخاف المعارضة ، بل كان يبحث عنهما ، ويثيب عليهما ، ويثيرهما  
في قلوب أمته وعقول شعبه . ويتخذ منهما مشعلاً يستضي به وحجته يستكمل  
بها صواب أمره . .

يحطّب الناس يوماً فيقول :

- « لا تريدوا مهور النساء على أربعين أوقية ، فمن زاد ألقيت الريادة  
في بيت المال » . .

فنهض من صفوف النساء سيدة تقول : ما ذلك لك . .

فيألفها : ولم . . ؟

فتجيبه : لأن الله تعالى يقول . . . « وآتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا  
منه شيئاً » ، أتأخذونه شيئاً وإثماً مئياً . .  
فيهلل وجه « عمر » ويبتسم ويقول عبارته المأثورة . « أصابت  
امرأة ، وأخطأ عمر » . .

وحتى حين كانت تأتيه المعارضة غصى لأمة لم يكن يضجر  
منها أو يضيق بها .

بعد أن عزل « خالد بن الوليد » جمع الناس في المدينة وقال لهم :  
« إني أعتذر إليكم من عزل خالد ، فإني أمرته أن يجلس هذا  
المال على ضيقة المهاجرين ، فأعطى ذوى الأس ، وذوى الشرف ،  
وذوى اللسان » . . .

فنهض أبو عمرو بن حفص بن المغيرة وقال :

« والله ما أعددت يا عمر ، ولقد نزعنا قتي ولأه رسول الله ،  
وأعمدت سيفاً لله رسول الله ، ووضعت أمراً رفقه رسول الله وقطعت

رَحِمًا ، وَحَسَدَتْ بَنِي الْعَمِّ . . . ! !  
 قطيعة رحم . . . وحسد . . . يُبْهِمُ بِهِمَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَكَذَا فِي غَضَبٍ  
 وَعَلَى الْمَلَأ . . . !

أَجَل . . . وَمَا زَادَ عَمْرٌ ، عَلَى أَنْ اتَّسَمَ ابْتِسَامَةً صَافِيَةً ، وَقَالَ مُخَاطَبًا  
 أَبَا عَمْرٍو : « إِنَّكَ قَرِيبٌ قَرَانَةً ، حَدِيثُ السِّنِّ ، تَغْضَبُ فِي ابْنِ عَمِّكَ » . . . !

. . .

هَذَا لَيْسَ حَاكِمًا عَادِلًا وَحَسْبُ . . . بَلْ هُوَ مُعَلِّمٌ كَبِيرٌ ، وَصَاحِبُ  
 مَهَارَةٍ بِاللُّغَةِ فِي صِفْلِ الْجَوْهَرِ الْإِنْسَانِيِّ وَبَعَثَ قَوَاهُ .

فَأَيُّ أَثَرٍ بَاهِرٍ يَتْرَكُهُ مَوْقِفُ كَهَذَا فِي أَفْتَدَةِ النَّاسِ . . . ؟ ؟  
 وَأَيَّةُ طِمَائِنَةٍ عَامِرَةٍ يَمْلَأُ بِهَا الْقُلُوبَ حَاكِمٌ هَذَا سُلُوكُهُ . . . ؟ !  
 وَلَكِنْ ، لَمْ لَا يَفْعَلْ « عَمْرٌ » هَذَا ، وَأَكْثَرَ مِنْهُ ، وَهُوَ تَلْمِيزُ رَسُولِ اللَّهِ  
 وَصَاحِبِ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَتَهُ . . . ؟ !

وَلَقَدْ رَأَى بَعِينُهُ وَبَسَمَ بِأَدْنِيهِ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يَنْهَجِمُ عَلَى رَسُولِ  
 اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَقُولُ لَهُ وَهُوَ يَبِينُ أَصْحَابَهُ :

- « أَعْطَنِي ، فَلَيْسَ الْمَالُ مَالُكَ وَلَا مَالُ أَيْلِكَ »

وَيَرَى الرَّسُولَ يَتَسَمَّى ، وَيَقُولُ لِلرَّجُلِ :

- « صَدَقْتَ » إِنَّهُ مَالُ اللَّهِ . . . ! !

وَيَسْتَعْرِ الْمَشْهَدَ رَجُلًا ، هُوَ « عَمْرٌ » نَفْسُهُ ، فَيَهْمُ بِالْأَعْرَابِيِّ لِيَسْطِشَ بِهِ ،  
 فَيُرَدِّدَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي رَفَقٍ . وَاتَّسَامَتُهُ تَعْلُوشَتُهُ كَتَهْلُلِ الرَّبِيعِ ، وَيَقُولُ لَهُ .

- « دَعِهِ يَا عَمْرُ . إِنَّ لِمُصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا » . . . ! !

أَجَل ، عَلَى هَذَا السَّجِّ الْمُسْتَقِيمِ يَمْضِي عَمْرٌ مُقَدَّرًا كُلُّ نَقْدٍ نَافِعٍ ،



موقراً كل معارضة أمية . .

وإن لجميع الناس الحق في أن يشيروا على أمير المؤمنين ، وفي أن يعارضوا ما لا يقنعهم من تصرفاته .

ولقد تركهم يفهمون تماماً أن الشورى ليست ترفاً ، ولا ملء فراغ . إنما هي نهوض الشعب بمشوليته مع الحاكم بدأ بيد ، ورأياً برأى ، ومشية بمشيئة . .

وكان إيمان الناس بأن أميرهم جاد في معرفة آرائهم ، وتمحيص رأيه . . وكانت التجارب الكثيرة التي أثبتت حفاظه بالمعارضة ، واحترامه للشورى . .

كان هذا وذاك على رأس الحوافز التي ألهمت الناس - جميع الناس - الشجاعة في إبداء الرأي ، والمشاركة في حمل تبعه المصير .

لقد كان عمر حيراً بأولئك الذين يرصدون الريح ، ويستنبطون هوى الحاكم ، فيسبقونه بالرأي الذي يساير هواه . . ! !

كان خبيراً بهؤلاء ، فلا يقيم لهم وزناً . .

وكان يقول لأحدهم إذا تقدم لتمثيل دوره : « يا عدو الله ، والله ما أردت الله هذا . . ! ! »

وكان هؤلاء قلة باهتة .

أما الأكثرون ، فقد كانوا من الطرار الرهيع الباهر الذي يقول كلمته واضحة ، صادقة ، صادقة ، ناعمة ، يعلينا عليهم إيمانهم بواجبهم وبحقوقهم معاً . ويشجعهم عليها سلوك أمير المؤمنين تلقاء نصيحائه ومعارضيه . .



وعظيم من عمر ، أنه كان يلتبس المشورة والرأى ، كنفود عادى لا كحاكم  
وأمر للمؤمنين . .

فهو إذ يطلب الرأى فى أمر ، لا يبدى عن أى مظهر من مظاهر السلطة .  
بل يُشعر الآخرين بأنهم يُشَدون إليه خيراً حزيلاً ، ويقبلونه من وطأة  
الحساب إذ يساعده بآرائهم على تبين الصواب والحق . ! !  
وبهذه الروح نفسها يتلقى - كما رأينا - كل معارضة له ، بل وتزيد  
به . .

كان يختار الطريق يوماً ، ومعه « الحارود العدى » فإذا امرأة تناديه  
وتقول :

- رُوبدك يا عمر ، حتى أكلمك كلمات قليلة . .  
ويلتفت « عمر » وراءه . ثم يقف حتى تبلغه السيدة فتقول له وهو  
مُضغٍ مبتسم :

- يا عمر : عهدى بك ، وأنت تسمى « عُميراً » تصارع الفتيان  
فى سوق عكاظ ، فلم تذهب الأيام حتى سميت « عمر » . ثم لم تذهب  
الأيام حتى سميت « أمير المؤمنين » . فاتق الله فى الرعية ، واعلم أن من خاف  
الموت ، خشى الموت . . ! !

فقال لها « الحارود العدى » : اجترأت على أمير المؤمنين .  
فحذبه عمر من يده وهو يقول . دعها فإنك لا تعرفها ، هذه « حُرلة  
ست حكيم » التى سمع الله قولها من فوق سبع سماواته وهى تجادل الرسول  
فى روحها وتشتكى إلى الله . فعمر والله خرى أن يسمع كلامها . ! !



إن فطرة العرب ، وروح الإسلام ، أمدًا للمسلمين الأوائل لا شك  
بهذا الحفظ العارم من الشجاعة في مواجهة الحاكم .

ولكن لا ريب في أن هذه الشجاعة الحارقة ما كانت تسلب مداها  
الشامخ هذا ، لو لم يكن سلوك الحاكم تحاها سلوكا بيلا جليلا يساعد  
على إربائها لا إطمائها = الأمر الذي كان يصعبه « عمر » . . .

لقد نجت الشورى في عهد هذا الرجل الكبير من كل ضائقة وأزمة .  
دلت أن أزمة الشورى توجد عندما يوحد الحاكم الذي يحب السلطة ،  
أكثر مما يحب الحرية . . .

و « عمر » لم يفعل بقبض ذلك فحسب ، بل إنه نظر إلى السلطان كما  
ينظر المضطر إلى لحم الميتة . . . ! !

وعلى الرغم من أنه جرّد السلطة حين مارسها من كل زهوها ، ومن  
كل إعرائها ، ومن كل ضراوتها ، فقد ظل ينظر إليها نظره تلك ، وظلت  
علاقته بها علاقة من حُبل عليها ، لا من سعى إليها

ولقد كان دائما يعدّ الشعب وبيته ليكون هو الحاكم الحقيقي ،  
وليبكون الحليفة الحق له يوم يذهب عن هذه الدنيا .

كان كل همه أن يتركه شعباً قوياً صلباً ، ولقد فعل .  
وضع في خدمته كل دخل الدولة . وأقام من أحله الثغور ، والحصون ،  
وشاد له المدن والأحصار . . .

ثم مع هذا ، بل قبل هذا ، وضع كلتا عينيه على القوة النفسية للشعب .  
تلك التي تتمثل في شعوره الحقيقي بأنه سيد . وبأنه أمين كل الأمر . . .  
وبأنه يصنع مصيره ، ولا يُفاجأ به . . . ! !

وهكذا أحصع « عمر » للشورى كل حطة وكل قرار . وأعطى الحق

كل توقيع وكل إكثار . . ولم يجعل الشورى وقفاً على بطانة أو فريق من  
الناس . بل احترامها كحق ميرور للامة كلها . ١ ١ !  
ذلك أن أمير المؤمنين لم يكن رجلاً بطانة . بل كان رجلاً أمة ، ورجلاً  
عالم ، ورجلاً تاريخ . . ١ ١ !

. . .

نحن أمام إنسان فيه كل أصالة نشأته ، وبيته ، ودينه . .  
رجل يعرف مكانه من الناس ، ويعرف مكان الناس منه ، ويعرف  
مكانه والناس معاً من تيار الحياة الإنسانية الهادر .  
ثم هو بصير بحقائق عالمه من غير أن يدرس هذه الحقائق في جامعة  
أوفى كتاب . .  
وأول هذه الحقائق كما يعلم ، وكما عبر هو في أعذب وأمتع وأجمع  
قول : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » . ؟  
هذه أول حقائق عالمنا الإنساني ، كما يدرك « عمر » : « الحرية  
حق تعلقه لحظة الميلاد » . .  
وهو كحاكم ، لا يحافها ، ولا يحفل بها ، بل يحبها حب عاشق ويقدمها  
تقديس مؤمن . .  
ومفهوم الحرية عند في متى اليسر . وأيضاً في متى الشمول .  
فالحرية ، هي حرية الحق . . .  
الحق فوق جميع القيود . .  
وما دام الناس هم الذين يكتشفون الحق ، فيجب أن يكونوا أحراراً  
في ممارسة كشفه . .



وما دام لا يوجد إنسان واحد يملك الحق وحده ، أو يعرفه وحده ؛  
فكل فرد إذن الحق في أن يسلك طريقه إلى معرفة الحق . .  
أى أن الناس أحرار في أن يعلنوا آراءهم ، ويحدثوا بما في أنفسهم  
فإن بك صواباً ربح المجموع هذا الصواب ، وإن بك خطأ تبس صاحب  
الخطأ خطأه . .

ولكن من حق « عمر » علينا أن نقول . إن هذا الحق الذى يحترم  
اختلاف وجهات النظر فيه هو الحق الذى لم يأت فيه من الله ولا من رسوله  
بيان واضح وفاصل . .

وما أكثر نماذج الحق الذى ترك الله للناس أمر كشفها ، وما أكثر  
الحقائق التى تتطلب آراء الناس لتظهر وتبين . . ! !

وعند « عمر » أن إبداء الرأى من حق كل فرد ، ذكر وأنثى ، كبير  
وصغير ، وليس من حق الصفوة . أى صفوة . .

ذلك لأنه ينظر حواليه ، يرى امبراطوريات تهدم ، وعروشاً تنهار ،  
وشعوباً ذليلة ، تصحرون وتحترق . .

ثم ينظر . . بيد من يتم هذا العمل الجليل . . ؟

إنه يتم بأيدي الرجال العاديين . . الأمين والعقراء والبسطاء الدين  
آموا « محمد » واتبعوا النور الذى أرسل معه . هؤلاء إذن ، هم قوام الحياة  
الجديدة . . ! !

فإذا كنا نحترم سواعدهم التى تصرب وتبى ؛ فلا بد أن نحترم كلمتهم  
التي تُقال وإذا كنا نطلب تأييدهم وتعصيدهم ، فلا بد أن نقل  
مشورتهم ونقدمهم . . ! !

وما داموا هم الدين يحملون العبء أولاً وأخيراً ، فليس من حق حاكمهم



أن ينمرد دونهم باتحاد قراراته ورسم خططه ، وبالتالي ليس من حقه أن يتجاهل حقهم في أن يقولوا : لا . . ما دام يحتاج إليهم في يوم يقولون فيه : ليك . . ! ! !

يدور ذات يوم حوار بينه وبين واحد من الناس .  
ويتمسك الآخر برأيه ، ويقول لأمر المؤمنين : اتق الله يا عمر . !  
ويكررها مرات كثيرة . .  
ويزجره أحد الأصحاب الجالسين قائلا : صه ، فقد أكرت على أمير المؤمنين .

ولكن أمير المؤمنين يقول له : « دَعْنِي » فلا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها . . !  
أجل ، لا خير في الناس إذا لم يقولوا ما يرونه حقاً ، ولا خير في الحاكم إذا لم يسمع منهم ويُصغ إليهم . .

. . .

ولكن ليست المشكلة مشكلة قول وسمع . .  
إنما هي أولاً مشكلة الثقة والطمأنينة اللتين ترهبان من مستوى الشجاعة في إبداء الرأي . . ومستوى العدالة في تقبله . . .  
وهذه عظمة « عمر » في هذا المقام ، وهي كعظمته في كل مقام . .  
عظمته في إدراكه أن الشجاعة هي سر الحرية وجوهرها . . وأن الناس إذا فقدوا شجاعتهم ، فقدوا بالتالي كل ما يؤهلهم للاستقامة والتقدم والتطور الصاعد السديد . .





وعندئذ قالوا ليل لهم ، والويل للحاكم معهم .  
 إن الاثنين معاً . الحاكم والشعب ، بتخليهما عن الشجاعة في إبداء  
 الرأي وتقبله . قد أزمعا الانسحاب من الحياة . . ! !

. . .

ألا هنيئاً لأمة يفودها هذا القوي الأمين « عمر » . . .  
 هذا الرجل الذي يرى من آفة الحكم وآفة الحكام في كل زمان -  
 ألا وهي الحرص على أن تكون كلمتهم العليا . .  
 يرى « عمر » من هذا ، وتفرق عليه . .  
 وكانت الكلمة العليا عده للحق أي يكون .  
 ولقد يقضى قضاء ، ويبرم أمراً ، فيعارضه صاحبه ، ويقول للإمام  
 العادل . والحليفة الأمين : ليحكم بيني وبينك آخرون . .  
 فلا وربك لا يألم « عمر » ولا يتأني ، بل يرحب في غبطة ، لأنه  
 سيجد عوناً على الحق إن كان مُحَقِّقاً ، وهُدًى إلى الصواب إن كان مُحِطّاً !  
 تقي العباس يوماً وقال له :  
 لقد سمعت رسول الله قبل موته يريد أن يري في المسجد ، وإن  
 دارك قريبة من المسجد فأعطنا إياها نزدها فيه . وأقطع لك أوسع منها .  
 قال العباس : لا أفعل . .  
 قال عمر : إذن أعليك عليها .  
 فأحابه العباس . ليس ذلك لك ، فأجعل بيني وبينك من يقضي  
 بالحق .

قال أمير المؤمنين : من تختار . . ؟ ؟

قال العباس : حذيفة بن اليمان . .

وبدلاً من أن يستدعى أمير المؤمنين إلى مجلسه « حذيفة » انتقل هو والعباس إليه .

أجل ، فحذيفة الآن يمثل سلطة أعلى من سلطة الخليفة نفسه . إنه سيفضي ويمصل بين الخليفة ، وواحد من المسلمين . بين الدولة : وورد من المواطنين . . .  
شيء تشبه لو استقامت على الطريقة - مجالس الدولة في عصرنا هذا . . .

وأمام حذيفة بن اليمان جلس « عمر » ، والعباس . وقصاً عليه الخلاف الذي بينهما .

فقال حذيفة : سمعت أن نبي الله « داود » عليه السلام أراد أن يزيد في بيت . ا. لس فوجد بيتاً قريباً من المسجد ، وكان هذا البيت لبيته ، فطلبه منه . فآراد « داود » أن يأخذه قهراً ، فأوحى الله إليه : « إن أنزه البيوت عن الظلم لمؤبتي » فعدل داود وتركه لصاحبه . .

فنظر العباس إلى « عمر » وقال : ألا تزال تريد أن تعلنى على داري . ؟ قال عمر : لا . .

قال العباس : ومع هذا ، فقد أعطيتك الدار تزيدها في مسجد رسول الله . . ! !

• • •

أغلب الظن ، أن « عمر » لو رأى انهياراً اليوم بديمقراطيته وإنسانيته وعظمته . كرمقنا بنظرة ملؤها الدهش والعجب . .

فهو لم يكن في كل روائعه هذه ، يحسب أنه يأتي أموراً غير عادية .



وهذا هو جوهرة العظيمة . .  
عظيمة رجل يدعو بالرحمة لمن يَهْدِي إليه أخطاه . .  
لمن يقول له : لا . . . يا عمر . . !  
ألا حيا الله أمير المؤمنين .  
وتحية طيبة للبشرية التي أنجته ، وللمدين الذي رباه . . ! ! !



الفضل المختار

لَسْتُ بِالْمَحْبُوبِ، وَلَا الْمَحْبُوبَةُ بِمَحْبُوبَةٍ



في مستوى فطرته ، وإيمانه ، ومسئوليته ، كان ذكائه وكانت طعته  
ولقد لخصت أم المؤمنين « عائشة » رضى الله عنها حيدقه المائق  
فقال :  
« كان والله أحمدياً ، نسيح وحده ، قد أعدّ للأمور أفراسها »

ولقد أفاض الله عليه الكثير الفدق من المصم والحكمة « يؤتي الحكمة  
من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » .  
« عمر » أهل لفضل الله وعطائه وخيره ، ليس في حياته كلها شيء  
له . إنها كلها مكرمة لله . منقورة لطاعته وخدمة خلقه .  
ودكائه مناد للحق ، لا للباطل .

وهو ينع من مسئولته ، ويعمل وفقها .  
وهو دكاء المعطرة السوية ، والتجربة اليقظي ، ومن ثم فهو لا يعرف  
المراوعة ، ولا المصاراة . إنما يتحرى الحق ، وينفذ إلى الباب المستر  
في مثل لمح الصر أو هو أقرب . . . ! !

وحظه من فقه الإسلام خاصة ، حط عظيم جدّ عظيم

يقول عبد الله بن مسعود :

« كان عمر أعلمنا بكتاب الله . وأفقهنا في دين الله »

وكان أصحابه يتحدثون بأنه ذهب وحده تسعة أعشار العلم

والحق أن توقّد ذكائه ، وحصونة قريحته لا يخفيان في أى تصرف

من تصرفاته ، أو كلمة من كلماته . .

وكما لا يرهو « عمر » سلطانه ، فهو لا يرهو عقريته . . تلك العقريّة

التي لو شاء أن يحوض بها معارك الذكاء لربحها جميعاً ، غير أنه لم يُعط

نعمة الذكاء كما يرى ، إلا لبصر الحق في ضياء هذا الذكاء ، ولينحجب

به أحابيل المكر السيئ التي يشرها دائماً أعداء الوضوح وخصوم

الحق . .

كثيراً ما كان يقول رضي الله عنه :

« لست بالخَبُّ ، ولا الخَبُّ يُخدعني » . . . !

وهي عبارة تصور طبيعة بوجه وذكائه .

فهو ليس ذكاء عُذْوانياً . . ولا ذكاء مُراوغةً وتُخَلٍّ . .

ليس ذكاء هجوم . بل . . . ولا ذكاء مقاومة . .

إمّا هو ذكاء تفوق ، يتعجر من شخصية متفوقة ، ويعمل في خدمة

مبادئ متفوقة . .

هو إذن ليس ذكاء معارك ، بل ذكاء بطولات . . .

وليس ذكاء مدرسياً ، بل ذكاء حلاقاً مُبدعاً . .

وهذا أيضاً من آيات هذا العقل الذي يؤمن بالنّص ويدعس للأثر

ثم هو مع هذا صوّال جوّال . يستشرف العيوب ويكاد أحياناً يسبق الوحي ،



فما جعل رسول الله يقول مشيداً بهذه الفطنة الحارقة :  
« إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » . .

\* \* \*

يقول للرسول يوماً :  
يا رسول الله . أليس هذا مقام إبراهيم أينما ؟  
يقول الرسول : نعم .  
فيقول عمر : فلوانحلت منه مُصَلَّى .  
فما هي إلا أيام حتى ينزل الوحي بالآية الكريمة : « وانحدوا من مقام إبراهيم مُصَلَّى » .  
ومثل هذه الواقعة كثير ، حيث كانت تنبثق من عقله المضيء ، وبصيرته الذكية فكرة ، أو أمنية ، فيتنزل بها الوحي بعد قليل .  
من أجل هذا قال الرسول فيه :  
« لو كان بعدى مُخَدَّثُونَ ، لكان عمر » .  
ومن أجل هذا جعله الرسول مصدراً من مصادر التشريع حين قال لأصحابه :  
« إني لا أدرى ما مقامى فيكم ، فاقتدوا باللذين من بعدي ، أي بكر وعمر » . .  
وذكاء « عمر » عميق واسع ، ونظرته الحصيفة تُحَلِّي كل عامص ، وتنفذ إلى كل غور بعيد . .  
ورأيه في شيء يسير ، كراهيه في أمر خطير كلمات وجيزة ، وأحكام مستوعبة

وله فقه عظيم بطائع الناس . . . كصفته العظيم بأحداث الدنيا  
وأصرار الحياة . . . !!!

. . .

كان يقول : « الناس يزمانهم » أشبه منهم بآبائهم »  
ويقول : « ما من أحد عنده نعمة ، إلا وجدت لها حاسداً . . . ولو كان المرء  
أقوم من القدح . لوجدت له غامزاً . . . !!! »  
أحكام وجيرة ، لكنها عميقة ، تركز فيها حكمة « عمر » وعفريته ،  
وخبرته العميقة بنفس الإنسان .

وبه ليضع الناس في ميزان ذكي قويم فيقول :  
« أحكم إليا قل أن براكم أحسنكم سيرة » فإذا تكلمتم فأبيكم  
مطلقاً . فإذا اخترناكم فأحسنكم فعلاً . . .

والمظاهر العابرة ، لا تكني عنه لتكوين أحكام عن الآخرين .  
يسمع واحداً يُطرى آخر ويمتدحه قائلاً ، إنه رجل صديق  
فيأله عمر : هل سافرت معه يوماً . . ؟  
يقول الرجل : لا

- هل كانت يتكما خصومة يوماً . . ؟  
- لا .

- هل ائتمته يوماً على شيء . . ؟  
- لا .

فيقول عمر : « إذن لا علم لك به . لعلك رأيت برقع رأسه في المسجد  
ونخضه . . . !!! »





هذا إمام من أئمة التقى والورع والهدى ، ثم لا يرى رفع الرأس وخفضه في المسجد كافياً للثقة بمن يعمل هذا ، لا تهويناً لشأن العادة ، ولكن إحاطة بأسرار النفس الإنسانية وحسن فهم لتياراتها الحافية . . إن ذكاء « عمر » لا يأتي الأمور من بعض رواياها ، إنما يكشفها جميعاً ، ويستوعبها حتى آخر نجادحها واحتمالاتها .

فهو في معرفته بالناس ، لا يكنى بتمحيص جاب العادة فيهم ، على الرغم من علوم مكانة العبادة والعامدين عند « عمر » ، إنما يُطل على الشخصية كلها ، لأن العبادة أيضاً في مفهومها السديد عند « عمر » ، تعنى استواء الشخصية الإنسانية واكمالها . . من أجل هذا ، كان يشكو كثيراً من سذاجة التقى ، ومقدرة غير التقى . .

وما كان يرى السذاجة والعملة من خصائص العبادة والتقوى . بل التقوى عنده قوة وطهر . وسعة حيلة ، وتفوق . والحياة لديه ليست عملة صالحة . بل هي تجربة ناجحة ، ومراس أمين . نحدث الناس عنده يوماً عن رجل وذكره بخير فقالوا : إنه لا يعرف الشرأنداً . .

فقال « عمر » ذاك أجدر أن يقع فيه . ليس معنى هذا طبعاً أن ارتكاب الشر ضرورى لمعرفة . إنما معناه أن يكون الإنسان بصيراً بالشرور حتى لا تعرفه مشكراً في ثياب الخير . ويدرك « عمر » كذلك بقطعة المتأنقة أن العصيلة ليست اسحاح من الحياة حذر العتة . بل هي محاربة الحياة ومعالجة الفتنة . وفي هذا يُسأل أيهما أركى وأفضل - رجل لا يأنم لأن همه لا تشتهى



الإثم ، أم رجل تشفى نفسه الإثم ولا يَأثم . .  
 فيحيب « عمر » الحضيف الألعى : « الدين يشتهون المعصية ،  
 ولا يعملون بها . أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم معصرة ؟  
 وأجر عظيم . . ! !

. . .

وتراحب أبعاد هذا الذكاء وهذا الفقه ، حين يواجهان مشاكل  
 لحياة والناس .  
 تُعرض عليه قضية يُفتى فيها . . وبعد حين ، تعرض عليه قضية  
 مماثلة لتلك ، فيفتى فيها فتوى معاكسة . فإذا سئل عن سر هذا التفاوت  
 قال : ذاك على ما قضينا ، وهذا على ما نقضى . .  
 إن ظروف القضيتين مختلفة ، وإن تماثلت الوقائع .  
 وعمر الفقيه العبقري ، لا يحمل داخل عقله فتاوى كالقوالب الحامدة ،  
 إنما يحمل فهماً يتحرك في كل الجهات . وبذلك ما لتباين الظروف وتباير  
 الأسباب من تأثير في الحادثة ، وتأثير في الحكم . .  
 ولا شيء يفوق ذكاء « عمر » ، سوى جرأة هذا الذكاء . . ! !  
 فراه وهو الذي كان يتحرى التزام النص ، ومتابعة الرسول عليه السلام .  
 يعلن إيهاء حكم شرعي ، مات الرسول وهو نافذ قائم ، ومات أبو بكر وهو  
 نافذ قائم ، ولا يزال مطوق هذا الحكم آية تُتلى في كتاب الله . . . ! !  
 هذا الحكم . هو تخصيص حرة من ضريبة الزكاة للمؤلفة قلوبهم  
 والمؤلفة قلوبهم جماعة دخلوا الإسلام ناقصين ضعيفين ، أو بغير اقتناع .  
 فصرص القرآن لهم في بيت المال حظاً يأخذونه من الزكاة . تألفاً لهم ، حتى



لا يصرفوا عن الدين قبل أن يدوروا حلالة الإيمان فيقلوا عليه رعين  
موقنين . . .

قلب ، عمر ، وجوه الرأي في هذا الشأن ثم قال :

« لقد كان رسول الله يعطيهم ، والإسلام يومئذ ضعيف . أما اليوم  
فقد أعز الله دينه وأعلى كلمته ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ولن  
يتسع هذا الدين إلا لمن يدخله راعياً مؤمناً . »

إن هذا الموقف وحده يرتفع إلى أعلى مستويات الدكاء الإنساني ليس  
لما يتضمن من حسن التعليل . بل لما يتضمن من شجاعة التفكير . فكثير من  
يستطيعون أن يدركوا ما أدركه عمر ، من حكمة التشريع في مثل هذه الواقعة .  
لكن ، عمر ، وحده هو الذي يستطيع دكاؤه الحاسم أن يطوّر هذا التشريع .  
لا سيما إذا كان مقررّاً بآية قرآنية لم تسح . وعمل للرسول لم يُقص  
الحق أن أعظم رؤى البصيرة . وأعظم أسرار الشريعة . قد انفتحت  
لقاء سعيداً في وعي هذا الرجل الراشد الأمين . . !

ولقد أشاد الرسول بهذه الحجة التي أفاضها الله على ، عمر ، في روى  
الحارثي ومسلم رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« بيما أنا نائم ، إذ رأيت قدحاً أتيت به فيه لبن ، فشربت منه  
حتى إني لأرى الرى يجرى في أطعري . ثم أعطيت ففعل عمر بن الخطاب  
قال أصحاب الرسول ، فمادا أؤثته يا رسول الله ؟ قال العلم »

• • •

يُحَاء إليه عسلم ارتكب ما يوجب الحد ، ويشهد ثلاثة شهادة تدينه .  
ولم يبق إلا شهادة الرابع ، ثم يصير الحد عقاباً محتوماً .



وُيُرْسَل «عمر» يسدعى الشاهد . ولا يكاد يراه مفلاً حتى تأخذه  
رهمة . وحين تقترب خطاه . ينظر إليه أمير المؤمنين ويقول : « أرى رجلاً  
أرحواً ألا يفضح الله به واحداً من المسلمين »  
ويقدم الشاهد ، ويقول . لم أر شيئاً يوجب الحد .  
وينفـس «عمر» الصعداء . . . ! !

ويأتيه رجل يسمى ذات يوم ظناً أنه يحمل إليه بشرى فيقول يا أمير  
المؤمنين . رأيت فلاناً وفلاناً يتعاقبان وراء النخيل . هيمسك «عمر»  
ثلاثيه ، ويعلوه بمخففته . ويقول له بعد أن يوسعه ضرباً « هلاً سترت  
عليه . ورحوت له التوبة . فإن رسول الله قال من ستر على أخيه ستره الله  
في الدنيا والآخرة » ! !

هذا رجل معه من الورع ما يستهجن به الخطأ الأخلاقي . ولكن  
معه من العطفة ما يقتدر به ظروف هذا الخطأ . ومعه من الفقه ما يؤدي به  
حق الورع وحق العطفة معاً . . . ! ! !

وإنه ليوصي الناس بهذا الفقه العظيم فيقول :  
- « هكذا فاصنعوا . إذا رأيتم أحداً لكم زلاً رأه همدوده ووقفوه .  
وادعوا الله أن ينوب عليه . ولا تكبروا عونا عليه للشيطان »  
إن أمير المؤمنين شديد الوطأة . شديد الناس . ولكن الفهم السديد  
يضيء كل مواقفه . وهو يقضي بكائه لا بعواطفه . فصحيح أنه ينهر من الإثم ،  
ولكنه يمحض ظروف احتراجه تمحيص حير . ويضع التداعيد الذهبية  
التي تقول

لأن أعطل الحدود في الشبهات . خير من أن أقبحها في الشبهات . . . !  
يأتيه يوماً رجل يستفتيه قائلاً :



- إن ابنتي كانت قد أصابت حداً من حدود الله . وأخذت الشفرة لتدبح نفسها . فأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برئت . ثم تابت بعد توبة حقة . وهي اليوم تُحطَب إلى قوم . أفأحرمهم بالدي كان . . ؟

فبجبه عمر دو الورك الدكي . والدكاه الورك . .  
- « أتعمد إلى ما ستره الله فتدبه ؟ » والله لئن أحترت بها أحداً من الناس لأجعلتك بكالا لأهل الأمصار . اذهب وأكحها بكاح المعبنة المسلمة . . . . !

. . .

وأمر المؤمنين لا يكون أحكاماً حرة مُنْسَرَةً . بل تجيء أحكامه دائماً شاملة مستوعبة . ولا يصرف بصيرته عن الواقع . بل يركرها عليه . ويحيط به . ويجعله من مصادر تفكيره الرشيد .

• في إحدى الليالي . وقد خرج عاصاً في المدينة . ينقص الليل عن الكروب المخوفة . سمع ميدة تشكوئها وخرها وتقول .

تطاولَ هذا الليل . وارورَ جاسه . وليس إلى حنى حليلٍ إلا عيه  
هو الله لولا الله لا رب عـيريه . لرزل من هذا السرير حواسه  
مخافة رنى . والحجباء يصلتنى وأكرم نعلي أن تُك ركاثه  
ثم قالت أهكدا يهون على « عمر » وحشتنا . وعيبة رحلنا عما ؟

ويتبين « عمر » أن زوجها مجذ في أحد حبوشه .

وعند الصباح يذهب إلى ابنته حفصة ويسألها

يا حفصة كم تصبر المرأة عن زوجها . . ؟ !



فتحيه : تصبر شهرا ، وشهرين ، وثلاثة ، وينعد مع الشهر الرابع صبرها .

فيسن من غوره قانوناً ، بالأا يغيب في الجهاد جندى متزوج أكثر من أربعة أشهر . ويرسل إلى زوج السيدة يستدعيه من غوره . . . ! !  
 • ويسمع شيخاً كبيراً يبكى في شعر جزل ولده الوحيد الذي طال غيابه عنه . . ويسأل « عمر » فيعلم أنه هو الآخر في أحد جيوش المسلمين ، فيستدعيه فوراً ثم يسن قانوناً ألا يخرج إلى الجهاد من له أبوان كبيران إلا بعد إذهما . . . ! !

ذكاء يعمل على الطبيعة ، ويستمد من واقع الناس والحياة مادة تعكبره . .

• ولقد درج العرف والقانون على اعتبار الاعتراف سيد الأدلة . وهذا حق ، ولكن أمير المؤمنين يقرر بفطنته أنه ليس كذلك دائماً . ولا بد لكي يؤخذ الاعتراف كدليل ، ألا يُعزل عن الظروف التي تكشفه وتحيط به ، فربما يحى نتيجة خوف أو إكراه ، وعندئذ يفقد قيمته يقول عمر :

- « ليس الرجل عاؤون على نفسه إن أجمته أو أخفته ، أو حبسته أن يقر على نفسه . . . ! ! »

• وهو يأمر قواد جيوشه ألا ينزلوا بجندى عقاباً حتى « يطلّموا من الدرب قافلين » . . . ! !

إذا ارتكب جندى خطأ ما ، فكتحقق الواقعة ، ولتحدد المسئولية ، ولكن توقيع الحراء والعقوبة ، يظل مرجأ حتى يغادر الجندى بلاد الأعداء ، ويعود إلى وطنه . .



ويعطى أمير المؤمنين قراره هذا ، بالحواف من أن يلحق الحدى بالأعداء  
ويأوى إلى صفوفهم إذا أنزل به العقاب هناك . . . ! !  
إن ذكاءه التشريعى يتحل فى هذه الوقائع اليسيرة التى ذكرناها تحلياً  
يكشف عن روح الفهم النافذ والاستعداد العظيم عند ذلك الرجل الملهم  
الرشيد .

• وإيه ليجهاء إليه يوماً بغلمان صغار الس سرقوا ناقة رجل من  
مُزينة ؟ فلا يكاد يراهم صغر الوحوه ، ضامرى الأجسام حتى يسأل .  
مَنْ سَبْدُ هَؤُلَاءِ ؟

قالوا : حاطب بن أبى بلتعة . .

قال : إلى به . .

فلما جاء حاطب ، سأله : أنت سيد هؤلاء . .

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

قال عمر . لقد كدت أنزل بهم العقاب ، لولا ما أعلمه من أنكم  
تدشونهم ، وتحييهم - لقد جاعوا فسرقوا ، ولن يرل العقاب إلا بك . ! !  
ثم سأل صاحب الناقة .

- يا مَزْنَى ، كم تساوى ناقتك . . ؟ ؟

قال : أربعمئة . .

قال عمر لحاطب : اذهب فأعطه ثمانمئة . .

ثم قال للعلماء : اذهبوا ، ولا تعودوا لمثلها . . ! !

• • •

وحين نشع أفكار « عمر » فى كلماته التى يصوغها فى أحسن تقويم .

برى الجرالة ، والوضوح ، والمعاني الكيرة ، والأهداف النبيلة . تلثى لقاء  
سعيداً في كل كلمة تنفرج عنها شمتاء .

حين ولي الخلافة وقف يقول لقومه :

- « لن يعير اللهى وليت من حلافتكم شيئاً من خلقى ، إنما العظمة

لله وحده ، وليس للعباد منها شيء » : ! ! !

ويحدثهم عن المال فيقول :

- « ألا إني ما وجدت صلاح هذا المال إلا بثلاث . أن يؤخذ

من حق ، ويعطى في حق ، ويُسَمَّع من باطل . . . ألا وإني أنا في مالكم

هذا كوالى اليتيم : إن استغيث استعصفت . . وإن افتقرت أكلت بالمعروف » .

ويقول في كلمات وضاء عذاب :

« من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأت أئمة بن كعب . . ومن أراد

أن يسأل عن الفرائض . فليأت ريد بن ثابت . . ومن أراد أن يسأل عن

المعق ، فليأت معاذ بن جبل . . ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني ؟

فإن الله جعلنى له خازناً وقاسماً .

« إني نادى بأرواح رسول الله فمعطين . ثم المهاجرين الأولين

الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، ثم الأنصار الذين تبوءوا الدار والأيمن

من قبلهم . ثم من أسرع إلى المحرة أسرع إليه العطاء ، ومن أبطأ عن

المحرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلوم من رحل إلا مباح راحلته » . ! !

ويقول في توزيع الثروة :

- « إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سدتها ما اتسع بعضا لبعض ،

فإذا عجزنا تأسينا في عيشنا حتى نستوى في الكفاف » . ! ! !





وحيث نستعرض كتبه لقواده وولاته يرى كيف كان دكاؤه يبلغ عاية  
الرُّشد في كل شأن من الشؤون . .

يكتب لأبي موسى الأشعري موصحاً له مبهج القضاء الذي ينبغي  
أن ينتهجه فيقول :

« من عبد الله أمير المؤمنين ، إلى عبد الله بن قيس . سلام عليك .  
« أما بعد . فإن القضاء فريضة محكمة . وسنة متبعة . فافهم إذا  
أدبى إليك ، وأعد إذا تيسر لك ، فإنه لا ينفع حق لا يعاد له .  
« أس بين الناس في مجلسك ووجهك . حتى لا يطمع شريف في  
خيفك . ولا يئس ضعيف من عدلك . .  
« البيعة على من ادعى ، واليمين على من أنكر . .

« والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً  
« ولا يمنعك قضاء قصيته بالأمس ، فراجعت فيه نفسك وهُدبت  
لرشدك أن ترجع إلى الحق . فإن الحق قديم لا يظله شيء . ومراجعة الحق  
خير لك من التهادي في الباطل . .

« المهم . المهم فيما تلحج في صدرك مما ليس في كتاب ولا في سنة .  
واعرف الأنشاء والأمثال . ثم قس الأمور عند ذلك . واعمد إلى أحبها إلى الله .  
وأشبهها بالحق فيما ترى . واجعل لمن ادعى حقاً غائبا أو يئس . أمداً  
يتسبى إليه . فإن أحضر يته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضاء .  
فإن ذلك أبقى للشك . وأجلى للعمى : وأبلغ في العذر . .

« والمسلمون عدول في الشهادة بعضهم على بعض . إلا محدوداً في  
حد . أو مجزأ عليه شهادة رور ، أو ظليماً في ولاء أو قرابة . فإن الله قد  
نوى منكم السرائر ، ودرأ عنكم الشبهات .

« وإياك والقلق ، والصحر ، والتأذى بالناس والتكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ، ويُحسن التَّحَرُّقَ فيه من يُخلص بيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ، يَكْفِيهِ الله ما بينه وبين الناس ، ومن تَرَى للناس فيما يعلم الله خلافه منه ، شَأْنَهُ الله وهَتَكَ سِتْرَهُ وأَبْدَى فَعْلَهُ ، فما ظلك ثواب عند الله في عاجل رزقه ، وحزائن رحمة ؟ والسلام . . . ! ! !

• • •

ويدخل عليه وفد من المجاهدين كانوا يمتحنون تكريت وجلولاء ، فيرى جُومهم ضامرة ووجوههم شاحبة ، فيألم عن سبب ضعفهم فيحيونه بأنها نخومة البلاد ووطوبتها . . .  
فيكتب لعمد يأمره أن يحس اختيار مكان يلائم الناس ، ويرسم له الطريق فيقول :

« ابعث سلمان رائداً ، وحذيفة ، فليرتادا منزلاً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر ، وادع أبا الهياج بن مالك ، وأمره أن يجعلها مَاصِح - بمعنى شوارع - عرض كل منهما أربعون ذراعاً . وأخرى عرض كل منها ثلاثون ذراعاً . . . وأخرى عرض كل منها عِشْرُونَ ذراعاً ، لا تضيق عن ذلك شيئاً . وأمره أن يجعل فيها أَرْقَةَ ، الزقاق سبعة أذرع ، لا يضيق عنها شيئاً . . . !

• • •

ويكتب لعمد أيضاً ببعض توجيهاته العسكرية فيقول :  
« ترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشمهم ميراً يتعبهم ، ولا تقصرهم عن منزل رفق ، حتى يلفوا علومهم والسفر لم ينقص قوتهم . . . وأقم



من معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يُجمعون فيها أنفسهم  
ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم . .

ثم يقول :

« وإذا وطئت أدنى أرض العدو فأذكِ العيون بيبك وبسهم ، حتى  
لا يحى عليك أمرهم ، واحتر لهذا من تطمئن إلى نصحه وصدقه ؛ فإن  
الكنوب لا ينعمك خبره وإن صدق في بعضه ، والعاش عين عليك وليس  
عيناً لك . .

« وإذا دنت من أرض العدو ، فأكثر الطلائع ، وبث السرايا  
أما السرايا فتقطع أمدادهم ومرافقهم . وأما الطلائع ، فتلو أخبارهم ،  
واتق للطلائع أهل الرأي والناس من أصحابك . وتخبر لهم سوانق الخيل ؛  
فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واحمل أمر السرايا إلى  
أهل الجهاد والصبر على الجلال ، ولا تحض أحداً سوى مضيق من رأيك  
وأمرك أكثر مما تحصى به أهل خاصتك ، ولا تبعث طليعة ولا سرية في وجه  
تتحوف به ضيعة وبكاية ، فإذا عابت العدو ، فاضم إليك أقاصبك  
وطلائعك وسراياك . . . ! ! !

• • •

ويكتب إليه أيضاً :

« بلغني أنه فسالك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك  
ليس للمسلمين مثلها ، فأياك يا عبد الله أن تكون بمحلة السيعة التي مرت  
بواد خصيب فلم يكن لها هم إلا السمن ، وإنما حتمها في السمن . . !  
واعلم أن للعامل مرداً إلى الله ، فإذا راع راغت رعيته ، وإن أشق الناس

من شقيت به وعيته . . . ! !

في هذه الرسائل أدلى « عمر » برأيه في مشاكل شتى ، في القضاء ،  
وفي العمارة ، وفي الجهاد ، وفي أمانة الحكم .  
وفيها ، وبين سطورها تتألق بديته ، ونوعه . .

. . .

وحتى حين كان يعبر عن أفكاره في تبسط ودعابة ، كانت الحكمة  
الذكية تملأ الكلمات والحروف . .

يمر يوماً بدار جديدة في أطراف المدينة ، فيسأل : دار من هذه ؟  
فيقولون : دار فلان . وفلان هذا واحد من ولادة عمر . .  
فيقول : أبت الدراهم إلا أن يخرج أعناقها . . ! !  
ويبصر يوماً نائحة تستجيش أحزان الناس وتمسح دموعها الكواذب  
فيعلموها بمحفتة . ويطردها ويقول : « إنها لا تبكي بشجونكم ، إنما تبكي  
بدراهمكم . . ! ! ! »

ويسأل أحد أولاد « هرم بن سنان » الذي حلده بشعره ، « رهير  
ابن أبي سلمى » ، فيقول له أشدني بعض مدح رهير أمأك . فيشده . .  
فيقول عمر : إن كان ليحس فيكم القول .  
فيحييه الرجل . ونحن والله . إن كنا نحس له العطاء . . .  
فيقول عمر : قد ذهب ما أعطيتموه . وبقي ما أعطاكم . . ! !  
ذكاء ثاقب - يعبر عن نفسه بكلمات ثاقبة . . ! ! !

. . .



وبعد ، فالدكاء الشرى يقترن غالباً بالطموح الشديد ، والسعى  
الدائب وراء المزيد من أمجاد الدنيا والعلو فيها . .  
وهنا نلتقى بأسى خصائص ذكاء ابن الخطاب . .  
لقد كان ذكاء رهبانياً ، لا يعمل فى خدمة صاحبه ، وإنما يعمل لله ،  
ومع الله ، فى سبيل الحق والخير والرحمة . . . !  
أجل ، كان ذكاء رجل أوّاب . . من الله مأتاه . . وإلى الله مرده . .  
وفى سبيل الله نشاطه ، وتوقّده ، ورؤاه . . . !

## الفصل السادس

بِسْمِ صَاحِبِكَ بِغَلَامٍ



إذا اجتمعت هذه الفطرة السوية القوية ، وهذا الإيمان الوثيق بالله ،  
وهذه الأمانة الكاملة في تحمل مسئوليات الوجود والحياة ، مع ذكاء ثاقب  
رَخب ، فماذا يبقى من المكرّمات والعظائم ، حتى يكون الكمال الإنساني  
قد تجسّد بشراً ، ونهض على ساقين . . . ؟ ؟ !

هذا العدل ، وهذا الورع ، وهذا التفاني في الواجب ، وهذه الاستقامة  
على صراط الحق ، والفيطنة التي لا يندعها خيب . . .

تلك الخصائص المثل لم يأخذ « عمر » منها حظاً مجرد حظ ، بل  
بلغ نهاياتها ، وشفق على مستوياتها القياسية جميعاً .

أجل ، إن الكمال الإنساني حين أراد أن يحقق وجوده المادى المحسوس ،  
تجسّد في نماذج نادرة وباهرة من البشر . وإن أحد هذه النماذج العليا ،  
هو « عمر بن الخطاب » . . .

رجل كما رأينا ، عظيم . تمنى العظيمة نفسها أن تكون إحدى صفاته

وسماته . . . ! !



على أن الصورة التي نملأها له غير هذه الصفحات لم تستكمل  
بعد ملامحها ، فلا يزال هناك ملامح باهر مشرق أخاذ . .  
صحيح أنه مائل في كل الملامح السالفة ، ولكنه بالنسبة إلينا ،  
نحن الذين تقسم الموضوع لنحسن فهمه ولنتطيق استشراف هذه العظمة  
السامقة رويداً . لا يزال أمامنا هذا الملمح المظلل ، يجذبنا ويدعونا . .  
فالرجل الذي ورثه الله ملك كسرى وقبصر ، والرجل الذي كان  
أصحابه يرقبون ابتساماته ترقب الأهلة من طول كظمه شعفيه خوفاً من الله ،  
وقاراً له ، وفرقاً من مسئولياته أن يزل فيها ، أو يتوه بها . .  
الرجل الذي خلق ليقود عالماً ، والذي رزق طيعة تقتلها الراحة ،  
ويُغريها العمل بالعمل . .

هذا الرجل الشاهق ، الماهر ، الجياش ، كيف كان سجع حياته  
تحت وطأة مسئولياته ، وإخائته ، وجيشان فطرته وطاقاته . . . ؟  
هل عقده خصائمه هذه ، أم زادته وضوحاً . . ؟  
هل اضطرت به إلى الانطواء والترمت ، أم مكنته من المجاورة وسحته  
المتح . . ؟ ؟

هناك قدر من التحفظ ، والصلف ، تحمي به الزعامة المنتصرة  
نفسها ، وتصور به هيبتها ، فهل أخذ « عمر » حظه المألوف من هذا ،  
أم كان عنده بديل آخر دعم زعامته ، وإمامته ، وهيئته . . ؟ ؟  
أجل ، كان هناك بديل يليق « بعمر » ، ولا يقدر عليه إلا واحد من  
طراز « عمر » . .

كان هناك البساطة . . ! !

ولكننا نظلم البساطة عند « عمر » ، إذا قلنا إنها كانت بديلاً لشيء آخر .



فليس في أخلاق «عمر» ولا في خصائصه ما هو بديل . . إنما هي جميعاً ذوات أصالة مطلقة . «عمر» نفسه ، هو وطبها وجوهرها . .  
 أحل ، إن الشجاعة ، وإن العدل ، وإن الورع ، والاستقامة ،  
 كلها أخلاق إنسانية يحمل أمانتها بنو الإنسان ، وتوجد بسبب متفاوتة  
 مع الناس جميعاً - ولكن شجاعة «عمر» ، وعدله ، وورعه ، واستقامته ،  
 شيء تابع من «عمر» ، ومحتص به . . وما كان سيوجد قط ، لو لم يوجد  
 «عمر» . . ! !

لقد أدت خصائص «عمر» بمعونه دورها الفريد العذ الذي جعلها  
 منيرة كآنها من جوهر آخر فريد . هو «عمر» نفسه . .  
 وهذه عظمة الرجل . إنه لم يأخذ من الفضيلة شيئاً وطابعها ،  
 بل هو الذي منح الفضيلة طابعه وبياء . ! !

من أجل هذا ازدهرت الفضائل في نفسه وسلوكه ، اردها رشحته  
 واكتملت لديه الفضائل جميعاً واتحدت في كل واحد ، هو «عمر» .  
 وإذا كنا نُجربها ونقول ، عدل «عمر» ، ورع «عمر» ، أمانة «عمر» ،  
 فطمة «عمر» ، «قوة عمر» . . فإما فعل هذا لعلم أنفسنا . .  
 أجل . إنا نُقسم طريقنا لنقدر على امتيعابه ، ونقسم المادة التي  
 بين أيدينا لتتمكن من تحصيلها .

أما فضائل أمير المؤمنين ، فلا تتجراً في مجال العمل . كما لا تتجزأ  
 في ميران التقييم . . ذلك لأنها ليست أوسمة موطئة بصاحبها . بل هي  
 صاحبها نفسه ، وهي الرجل الذي تنبع منه وتتمى إليه . . هي ،  
 «عمر» . . ! !

ورجل هذا شأنه ، رجل مترع بالمعظمة وبالتفوق إلى هذا الحد لا يمكن  
أن يستهويه التمايز ، ولا يمكن أن يجد راحة نفسه وغطتها إلا في الساطة  
المتناهية ، وفي الحياة « بين » الناس لا « فوق » الناس . .  
فهو يجلس حيث انتهى به المجلس . ليس له مكان صدارة يختص به نفسه .  
وهو ينام حيث يدركه النوم ، فوق الحصى في داره ، أو فوق الرمال تحت  
ظل النخيل . . . ! وهو يأكل ما يجد ، وما يُقيم الأود لا غير . شريحة  
من اللحم المقدد ، أو شريحة من الحزمبلة بالزيت ، مُتَلَّة بالملح . . !  
وهو سعيد ، حين يسمع امرأة ، أو غلاماً . يناديه : يا عمر . .  
وهو في سعادة لو علمها ملك الأرض كحسده عليها ، حين يرى عجوراً  
تحمل مكتلاً يؤودها حمله . فيتقدم منها ويحمله عنها بعض الطريق ،  
ويصطحبها معه ، وهو يسمعها : تقول له شاكرة :  
أثابك الله الخير يا بني . . إياك لأحق بالخلافة من عمر . . ! ! !

. . .

دأت ليلة خرج في جولة من جولاته التي كان يخرج فيها وحيداً ،  
والناس ينام ليطمئن على قومه ويَتَلَوُ أحوالهم ، وينقُص الليل عن حاجاتهم . . !  
وعند مشارف المدينة رأى كوخاً ، بسعت منه أنثى امرأة ، فاقرب  
يسمى ، ورأى رجلاً يجلس باب الكوخ ، وعلم منه أنه زوج السيدة التي  
تن . وعلم أنها تعاني كَرْب المحاض ، وليس معها أحد يُعِيها ، لأن الرجل  
وروحته من النادية وقد حطَّا رجلاهما هـ وحيدين ، غريبين . .  
ورجع « عمر » إلى بيته مسرعاً ، وقال لزوجته « أم كلثوم » بنت الإمام  
على .



— هل لك في مَنُوبة ساقها الله إليك . . ؟ ؟

— قالت : خيراً . . ؟

قال : امرأة غريبة تَمَحَّض ، وليس معها أحد .

قالت : نعم ، إن شئت . .

وقام فأعد من الزاد والماعون ما تحتاج إليه الوالدة من دقيق وسمن ،

ومزق ثياب يُلَفُّ فيها الوليد . .

وحمل أمير المؤمنين القِدرَ على كتف ، والدقيق على كتف ، وقال لزوجته .

اتبعي . .

ويأتيان الكوخ ، وتدخله ، أم كلثوم ، زوج أمير المؤمنين ، لتساعد

المرأة في مُخاضها . .

أما أمير المؤمنين ، فيجلس خارج الكوخ وينصب الأثافي ويضع

هوقها القدر ، ويوقد تحنها النار . ويُضج للوالدة طعاماً ، والزوج يرمقه

شاكراً . . . ولعله كان يحدث نفسه هو الآخر بأن هذا العربي الطيب أول

بالحلاقة من « عمر » . . ! !

وهجأة صَدَحَ في الكوخ صراح الوليد . . لقد وصعته أمه بسلام ،

وإذا صوت « أم كلثوم » ينطلق من داخل الكوخ عالياً .

— يا أمير المؤمنين ، بَشِّرْ صاحبك بسلام . . ! !

ويعشق الأعرابي من الدهش ، ويستأخر بعيداً على استحياء ، ويحاول

أن ينطق الكلمتين أمير المؤمنين . ولكن شعته لا تقويان على الحركة

من فرط ما أفاءته المعاجاة من سعادة ، وطراقة ، وذهول . . ! !

ويلحظ « عمر » كل هذا ، فيشير للرجل : أن ابق مكانك ، لا تُرَعْ

ويحمل أمير المؤمنين القِدر . ويقرب من باب الكوخ منادياً زوجته . .

- نخذي القدر يا أم كلثوم . وأطعمي الأم وأشبعيها . .  
 وتطعمها « أم كلثوم » حتى تشبع ، وترد القدر إلى « عمر » بما بقي  
 من طعام ، فيضعها « عمر » بين يدي الأعرجي ، ويقول له :  
 - كل واشبع ، فإبك قد سهرت طويلاً ، وعانيت كثيراً . . .  
 ثم ينصرف هو وزوجته ، بعد أن يقول للرجل :  
 - « إذا كان صباح الغد فأتني بالمدينة ، لأمر لك من بيت المال  
 بما يصلحك ، ولنقرض للوليد حقه . . . ! !  
 رضى الله عن « عمر » ، وإنه لحق ، ما قاله الرسول عنه : « لم أر  
 عبقرياً يقرى قرينه » ، فهو بالملء وبصيرته . قد عرف حقيقة السعادة ،  
 وحقيقة العظمة في ديانا هذه ، فأخذ منهما بالمكيال الأوفى .  
 ألا ورب « عمر » . إن مشهداً واحداً كهذا الذي رأيته لخير مما طلعت  
 عليه الشمس وغربت - من عروش وتيجان ، وزخرف وصلف . . . ! !  
 أى تواضع وأية بساطة ، وأى حنان ومودة تنساب من نفس هذا الإنسان  
 الذي رفع الله به من قدر الحياة . . ١٩ !  
 أين مظاهر السلطان ، حتى المشروع والضرورى منها . . ١٩ !  
 لكن « عمر » لم يكن رجلاً سلطاناً ، لأنه فوق السلطان . وهو لا يستعير  
 عظمته من شيء خارج نفسه . إنما يهب العظمة لكل ما يقترب منه ويتصل به  
 وهو لا يتكلف البساطة ، بل يشغها . . ويوظف أكتافه في غبطة  
 للكبير والصغير . . ! !  
 يمر يوماً في المدينة بظلمان يلتقطون البلع من أفنية الخلل ، فلا يكاد  
 العلمان يبهرونه حتى يفرقوا ، ويلهبوا بعيداً ، غير غلام واحد ظل في مكانه  
 لا يريم . .

ويقرب منه « عمر » ، فيأكيه الغلام القول :

— « يا أمير المؤمنين ، إن هذا البلح مما ألقته الريح . . . ! ! »

فيقول له عمر : « أرى أنظر إليه . فإن ما تلقى الريح لا يحق على »

وينظر البلح ويفحصه ثم يقول للغلام : صدقت . . .

وتهلل أسارى الطفل ، ويقول للأمير المؤمنين في براءة ،

« أترى هؤلاء الغلمان الذين هلك ؟ ؟ إنهم ينتظرون أن أذهب

وحدى فيغيروا على ويأخذوا ما ممي . . . »

ويضحك عمر . ويربّت على كتفه ، ويقول للغلام : امض ممي ،

وسأبلغك ما أمك . ويأخذ بيده ويسير إلى جانبه حتى يُشارف داره . . . ! ! !

• • •

أكانت ساطعة تنع من مشولته ، أم نبت كل خصائصه المتخوفة

من عظمة نفسه . . . ؟ ؟

ألا من شاء أن يرى ما يَسُرُّ الأعين ، ويجعل الأفتدة في عيد . . .

ألا من شاء أن يرى العظمة الإنسانية في أوج صدقها ونهاها . . .

فليبصر ذلك الإنسان المارح الطول ، الأصح الرأس . المخرج

القدمين ، اللابس بردة بها إحدى وعشرون رقعة ، والحامل في يسراه

دواة ، وفي يمينه قرطاساً وقلماً . . . يقرع أبواب الدور ، ويطلب إلى نساء

المؤمنين اللواتي عاب أزواجهن في الثغور وفي ميادين الجهاد أن يجلسن

وراء الأبواب ويعلنن عليه رسائلهن إلى الأرواح ، فإن البريد على وشك

أن يرحل ويسافر . . . ! !

أو فليبصر ذلك الإنسان نفسه ، أمير المؤمنين « عمر » ، والطاهر بالدنيا

العريضة - ديا الروم وهارس ، يقرع الأبواب نفسها ، وينادي الروحجات



اللاتى غاب أزواجهن :

- « اذكرن لى حاجاتكن ، ومن كانت لها فى السوق حاجة ،  
فلتذكرها لى ، أو لترسل معى خادمتها إن كان لها خادم ، فإنى أخاف أن  
تُخدعن فى البيع والشراء . . . ! !

ثم يمشى إلى السوق ووراءه يترقب طويلاً من الخدم ، وهناك يشتري  
بنفسه ، ويضع الحاجات فى السلال بيده . . . ! !

أصبح أن هذا الرجل عاش على ظهر الأرض يوماً ، وكان أميراً  
للمؤمنين ، وكان يحيا هذه البساطة ، ويعدل هذا العدل ، ويحب ذلك  
الإخبات . . . ؟ ؟ ! !

أصبح أن رجلاً ، اسمه « عمر » ، كان للمسلمين خليفة وإماماً .  
وفتح الله له فتحاً مينا ، هابت ملك الأرض ، وتدحرج عند قدميه طعاتها  
وخرت بين يديه كالأنهار ، الأموال والكور - يزوره وفد العراق يوماً ومعه  
الأحنف بن قيس ، فيفاجأون به والحر شديد ، والصيف قاطظ ، منهمكاً  
فى تطيب بعير من إبل الصدقة يطلبه بالفطيران - ثم لا يكاد يرى ضيوفه ،  
وفيهم الأحنف حتى يتأديه :

- « ضع ثيابك يا أحنف ، وهلم فاعين أمير المؤمنين على هذا البعير  
فإنه من إبل الصدقة ، وفيه حق للأمة ، والمسكين ، واليتيم . . .  
فيقول له رجل من الوفد ، وقد أذهلته المعاجة :

- « ينهر الله لك يا أمير المؤمنين ، إن عدنا من عيد الصدقة بكميت  
هذا . . .

فيجيبه عمر : « وأى عبد أعبد منى ومن الأحنف . . ؟ » ثم يتألف  
تطيبه للبعير . . . ! ! !

أصبح هذا . . . ؟؟

من حسن حظ البشرية أنه صحيح ، وأن لها من « عمر » متعباً  
لا يتجلب من الغبطة والعظمة والأمل . .

من حسن حظ البشرية ، أن « عمر » واحد منها ، لتعلم أنها تنطوي  
على إمكانيات الكمال الذي تصبو إليه وتريدته ، وأنه ليس عليها إلا أن  
تحلّو مواهبها ، وتصفّل مرآياها ومرآياها ، فإذا هي تخرج الحب ، وتعطي  
الثمر ، وتنجب العظمة والكمال . . ! !

. . .

إن ساطة عمر تكشف الحماقة الكبرى التي يحوض فيها كل من يأخذه  
الزهو والصلف بمصّب يباله ، أو نصر يبلعه ، أو ثروة يجمعها فما الصلف  
والتكلف إلا عبء ثقیل يحمله المحدثون به ، ويصطلون بعذابه وهم  
لا يشعرون . .

أما الساطة الصادقة التي عاشها « عمر » ، فتلك هي السعادة حقاً ،  
السعادة التي يتمثل فيها رجوع النفس إلى جوهرها . وتموّقها على كل حلالة  
وعرور

سحانه ، ربّ عمر . . . ! ! !

لقد ألهمه رشده ، ووقاه شرّ نفسه . وسجّه من استقامة الشخصية  
وحلالها ما جعله سبيع وحده ، لا في بلد وحده . ولا في عصره وحده ،  
بل ملء كل مكان ، وعبر الزمان . . ! !

حيثما تلقاه . تلقى بطوالة روحه ، تلقى ساطته وإخلاصه وصدقه  
حتى لينرك في حيرة ، كيف توفر لهذا الرجل ، كل هذا القدر من الدّعة ،





والأمانة ، والبساطة ، وهو الذى زادت أعداد الجند فى جيوشه على مئات الألوف ، وأصبحت الأموال تتكدّس بين يديه فى أفناء المدينة أكواماً وتللاً . وأخذت الوفود من أرجاء الأرض القرية والبعيدة ، تسعى إليه طالبة الأمن ، وأحاطت به قلوب الشعوب التى حررها من ظلم الروم ، وغطرسة الفرس . . . وأحاطت به فى هيام وحب وفنون يسلب الحلم ليه . . . ! ! كل قوى الإغواء بالزهو ، والحض على الاستعلاء . ثم لا نجد أثارة - أدنى أثارة - من زهو أو استعلاء . بل على العكس نجد قمماً ترّحم الأفق . . . قمة الزهد ، وقمة العدل ، وقمة الورع ، وقمة البساطة والتواضع . . . شوامخ يعلى الرجل بناءها بفضائل نفسه ، وبطولة روحه ، واستقامة نهجه . . . ٩٩ انظروا . . .

ها هو ذا يقترب من مشارف الشام ، وقد خرج أهلها لاستقباله ، فليقاهم رجل قد امتطى جملاً يجلس فوق وطاء من صوف خشن ، وقد دلى رجلاه من شعبى رحله ، فلا وجاف ، ولا ركاب ، يلبس قميصاً من قطن ، كثير الثقوب ، كثير الرقاع . . . ! ! !

ويقبل الناس على الرجل يسألونه : أين أمير المؤمنين . . . ٩٩

- ألم تلق موكبه فى الطريق ٩٩

فيجيبهم الرجل باسماء أمير المؤمنين أمامكم ، فيبذلون السير إلى أمام . . . حتى يأتهم الخبر من ورائهم بعد حين : أن أمير المؤمنين قد وصل « أيلة » ونزل بها ، فيعودون مهرولين . . .

ويدخلون على أمير المؤمنين حيث كان يجلس مع الناس وتكاد تصعقهم المفاجأة ، فما أمير المؤمنين إلا الرجل الذى لقيهم يمتطى جملاً والذى سأله عن أمير المؤمنين ، فقال إنه أمامكم . . . ! !





ويبقى له يرثون مظهرهم عليه سرج جميل ، وزحل أنيق ، فيرفض  
ركوبه ويقول : نحوا عنى هذا الشيطان . . . ! !

فإذا قيل له : إن هذه بلاد لا تصلح بها الإبل ، يركب البرذون  
ولكن بعد أن يحرده من كل حيلة وزخرف . وبعد أن يلتقى عن ظهره بالسرج  
الأنيق ، والرحل المزركش ، ويضع مكاتهما ، الكساء من الصوف الذى  
كان يتخذ طاء له إذا ركب ، وصادة ينام عليها إذا نزل . . . ! !

وفى رحلته الأول إلى بلاد الشام يلقاه على أبواب مدينة القدس قواد  
جيشه وأمرأوه ، ممتطين صهوات الخيل ، وقد تمتطقوا بحلل من الديباج . .  
فلا يكاد « عمر » يرى المشهد ، حتى يتزل من فوق دابته سريعاً ،  
ويده على الأرض تأخذ من طوبها وحصاها ، ويرى الأمراء والقواد ثم  
يقبل عليهم قائلاً :

« سرعان ما فتنتم ؟ أفى هذا الزى تستقبلون عمر . . . ؟ سرعان ما نددت  
بكم البطنة والترف ، وأنتم الذين لم تشبعوا إلا من عاكين . . . ! !  
هذا رجل لم تكن البساطة ، والتواضع ، هواية له ، بل كانت ديناً ،  
وفطرة ، وأمانة . . . »

إنه يلتقى ذات ليلة بسيدة تسير وحدها فى المدينة . حاملة قرية كبيرة  
فيقترب منها ويسألها عن أمرها ، فيعلم أنها ذات عيال ، وليس لها خادم ،  
وأنها تنتظر حين يرعى الليل أستاره ، فتخرج لتسأل قربتها ماء . فيأخذ  
منها القرية ويحملها عنها ، وهى لا تعرف من هو . ؟ حتى إذا بلغ دارها ،  
قال وهو يناولها قرية الماء :

- « إذا أصبح صباح غد ، فاقصدى عمر ، يرتب لك خادماً ،  
قالت : إن عمر كثير شغله ، وأين أجده . . ؟ »



قال : اغددي عليه ، وستجدينه إن شاء الله تعالى . .  
وتعمل المرأة بمشورة الرجل الطيب ، لكنها لا تكاد تذهب إلى عمر ،  
وتقف بين يديه حتى تصبح مبهورة : أنت هراذن . . . ١٩  
ويضحك أمير المؤمنين . ثم يأمرها بخادم ونفقة . .

• • •

لا ريب أن أمير المؤمنين لو خير بين هذه البساطة الصادقة ، وكل ما في  
الدنيا من زينة وزخرف ، لما آثر على نعمة التواضع والبساطة شيئاً . .  
وإن الرجل الذي عاش حياته متفوقاً ، وكانت أيامه فوق الأرض  
موكباً مستعراً من الانتصارات والسعادة - منذ كان قتي يصارع الفتيان  
في سوق عكاظ ، فيظفريهم ويتصر عليهم . .  
إلى أن أسلم . فكان إسلامه فتحاً . . ثم هاجر ، فكانت هجرته نصراً . .  
إلى أن صار أميراً للمؤمنين تهاوى تحت ضرباته أركان العالم القديم  
كله . . . !

هذا الرجل ، صاحب هذه الحياة الحافلة دوماً ، الظاهرة أبداً . .  
كان أروع انتصاراته وأبهاها وأبقاها ، هذا الورع الذكي الجليل الذي  
أعطى دنيا الناس كافة ، ودنيا الحكام خاصة ، قدوة لا تبلى ، ولا هي  
يوماً بنا صيلة . . . !

قدوة تمثل في عاهل بركت الدنيا على عتبة داره مثقلة بالمغانم والطيبات ،  
فسرحها سراحاً جميلاً ، وساقها إلى الناس . ينثر فيهم طيباتها ويترك عنهم  
مُضِلَّاتها . . حتى إذا نقض يديه من علائق هذا المتاع ، استأنف سيره  
وسراه ، مُهرولاً في قرة الظهيرة وراء بعير من أموال الأمة يخشى عليه



الضياح . . أو مُنْحِنياً فوق قِدر . . طيبة لامرأة غريبة أدركها  
كرب المخاض . . أو مستقبلاً فوق الرمال وتحت ظل النخيل ، وفداً من  
وفود الدنيا التي تقصد المدينة تباعاً ، باحثة لأُممها ودولها عن مكان في العالم  
الجديد الذي ينسقه « عمر » و « بينه » . . أو صاعداً المثير يحطّب المسلمين  
ويذكّرهم بأيام الله في بردة تزدان بإحدى وعشرين رقعة أو تزيد . . . ! ! !

• • •

وبعد :

أبقى شيء يقال . . ؟

أستغفر الله . . بل هل قلنا شيئاً من الكثير ، الكثير ، الذي يمكن  
أن يقال . . ؟ ؟

ألا حَسِيناً تلك اللحظات اليانعة المثلثة التي عشناها معه . . .

ولنقنع قبل أن تنقطع منا الأنفاس ، بذلك الخطى المحيورة التي  
تأبعتنا بها - قليلاً من الوقت - رجلاً يسابق الزمان . . ! !  
وإذا أردنا أن نُعبّر عن انبهارنا البالغ أشدّه ، فلتوفر على أنفسنا عناء  
مالاً يُطمع فيه ولا يُقنر عليه ، ولتسعنا في هذا الموطن كلمة عبد الله بن مسعود :  
- لله درّ ابن الخطاب . . أي أمرى كان . . ؟ ؟ ! !

• • •